مقرر

التربية الدينية الإسلامية

الفرقة الرابعة شعبة الطفولة

أستاذ المقرر

د/ محمد حسن على محمد

العام الجامعي

٢٠٢٢/ ٢٠٢٣م

بيــانــات أساسية

الكلية: التربية

الفرقة:الرابعة

التخصص: طفولة

عدد الصفحات: ١٥٠

الرموز المستخدمة

نص للقراءة والدراسة.

المحتويات

أولا : الموضوعات	**الصفحة**
المقدمة	٤-٦
الفصل الأول : الدخيل في التفسير	٧-١٠٧
المبحث الأول: تعريف الدخيل لغة واصطلاحا	٨-١٢
المبحث الثانى: أقسام الدخيل في التفسير	١٣-٨٨
المبحث الثالث : نماذج من الدخيل في التفسير	٨٩-١٠٧
الفصل الثانى : الاستشراق	١٠٨-١٤٧
المبحث الأول : تعريف الاستشراق وأهدافه ودوافعه	١٠٩-١١٦
المبحث الثانى : شبهات المستشرقين حول القرآن الكريم	١١٧-١٤٧
فهرس المصادر والمراجع :	١٤٨-١٥٠

المقدمة

الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجاً، نحمده سبحانه ونستعينه ونستهديه ونستغفره، ونعوذ به من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، نحمدك اللهم حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه كما ينبغي لجلالك وعظيم سلطانك.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، جعل القرآن نوراً مبيناً لمن أراد سلوك الطريق المستقيم، ونبراساً يضيء الطريق للمؤمنين. قال تعالى: **{الم (*) ذَلِكَ الْكِتَابُ لاَ رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ}**[1]

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله، أفضل خلقه، وخيرة أنبيائه وصفوة رسله، أرسله ربه رحمة للعالمين، وهادياً للبشرية أجمعين.

أما بعد،،،،،،

فإن القرآن العظيم هو كتاب الله المبين، ووحيه الصادق الكريم، نزل به جبريل عليه السلام على قلب خاتم النبيين، وإمام المرسلين سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، ليكون آيته الباقية، ومعجزته الخالدة إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين.

---

(1) سورة البقرة الآية [١، ٢]

أنزله سبحانه وتعالى ينطق بالحق، ويشهد بالصدق، ويؤكد نبوته صلى الله عليه وسلم، ويدعم دعوته في إرساء دعائم التوحيد الخالص، وتأليف القلوب المتنافرة، وتوحيد الصفوف المتفرقة، وجمع القبائل المتعادية على كلمة الإسلام والإيمان.

أنزله سبحانه وتعالى ليكون دستوراً من الله تعالى إلى خلقه، وفيه صلاح حياتهم، وتنظيم شئونهم، وعلاج نفوسهم، وتقويم معوجهم، وليأخذ بأيدي الناس أجمعين إلى حياة أساسها التوحيد النقي، وتصديق رسوله صلى الله عليه وسلم في كل ما جاء به من عند ربه عز وجل من عبادات ومعاملات، وأخلاق تنتظم بها أمور الدين والدنيا معاً.

وقد تكفل الله بحفظه فقال سبحانه: {إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ}[1]

ولقد تلقاه النبي صلى الله عليه وسلم عن أمين الوحي جبريل عليه السلام وحرص على حفظه والتأسي به وتبليغه إلى الناس، حتى إنه ليحرك لسانه في أشد حالات الحرج – وكان ذلك يحصل منه صلى الله عليه وسلم – استعجالاً لحفظه وجمعاً له في قلبه.

وبعد انتقاله –صلى الله عليه وسلم– إلى الرفيق الأعلى أعملوا أفكارهم وعقولهم محاولين فهم كتاب ربهم، ودستور حياتهم، وما ينطوي عليه هذا الكتاب العظيم من توجيهات سامية، وإرشادات عالية، ودلالات

([1]) سورة الحجر الآية [٩].

هادية، وضربوا في هذا السبيل المثل الأعلى، والقدوة الطيبة لمن أتى بعدهم.

وهذا هو شأن العلماء، فإذا كان النبي صلى الله عليه وسلم من ضمن وظائفه بيان كتاب الله عز وجل، وهي المعنية في قوله تعالى: {وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ}[1]

ومع هذا فالتفسير كغيره من العلوم الشريفة لم يسلم من بعض الأقوال الغريبة، والخرافات التي لا أصل لها في الدين، ولعل السبب في ذلك يرجع إلى دخول كثير من أهل الكتاب في دين الله عز وجل – الإسلام – وكانوا يأخذون من كتب أسلافهم مستعينين بها على فهم كتاب الله تعالى؛ فظهرت هذه الاختلافات، وتلك الاضطرابات في كتب التفسير ،وكذلك كثرة الفرق والطوائف التى انتسبت للإسلام واتخذت من القرآن ما يخدم أصول مذاهبهم فاتجهوا إلى تأويل الآيات تأويلا فاسدًا.

كما أن القرآن الكريم لم يسلم من شبهات المستشرقين معتمدين على أدخل على التفسير من تأويلات باطلة لا تمت إلى القرآن بصلة.

([1]) سورة النحل من الآية [٤٤].

الفصل الأول : الدخيل في التفسير

المبحث الأول

تعريف الدخيل لغة واصطلاحا

تعريف الدخيل لغة:

قال ابن منظور: " الدَّخَل: ما داخل الإنسان من فساد في عقل أو جسم، والدخل بالتحريك: العيب والغش والفساد. .، والدَّخل والدْخل: العيب الداخل في الحسب، وفلان دخيل في بني فلان إذا كان من غيرهم فتدخل فيهم. **وقال ابن الأثير**: وحقيقته أن يدخلوا في دين الله أمورًا لم تجر بها السنة "[١].

وقال الراغب الأصفهاني: " الدَّخَلُ كناية عن الفساد والعداوة المستبطنة، وعن الدعوة في النسب، يقال: دخل دخلاً، ويقال: دخل فلان فهو مدخول كناية عن بله في عقله وفساد في أصله "[٢].

وعلى ماسبق يكون الدخيل فى اللغة هو الوافدُ الذي تسلل من الخارج، وليس له أصل في المحيط الذي دخله أى ليس من نسيجه أو جنسه، وبهذا يكون انتسب إلى غير أصله، كما يدور معنى الدخيل فى لغة العرب بأنه الفساد والعيب والضعف.

---

(١) لسان العرب لابن منظور مادة (دخل) ٢٤١/١١.

(٢) المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهانى ص (٣٠٩).

تعريف الدخيل فى الاصطلاح:

إن التعريف الاصطلاحى لا يخرج كثيرًا عن المعنى اللغوى، فهو عيب وفساد وضعف، فكل الأقوال الدخيلة فى التفسير هى معيبة وفاسدة منتسبة إلى شىء ليست من نسيجه وجنسه.

وقد عُرف الدخيل بتعاريف كثيرة منها:

ما عرفه الأستاذ الدكتور إبراهيم خليفة بأنه: " **ما نقل من التفسير ولم يثبت نقله أو ثبت ولكن على خلاف شرط القبول، أو كان من قبيل الرأي الفاسد** "[(١)].

وعرفه الأستاذ الدكتور عبد الوهاب فايد – رحمه الله – بأنه: " **التفسير الذي لا أصل له في الدين على معنى أنه تسلل إلى رحاب القرآن الكريم على حين غرة، وعلى غفلة من الزمن بفعل مؤثرات معينة حدثت بعد وفاة الرسول الكريم ﷺ** "[(٢)].

من خلال النظر فى التعريفين يتضح أن التعريف الأول أجمع من الثانى؛ لأنه اشتمل على الدخيل بشقيه سواء كان فى التفسير بالمأثور، أو التفسير بالرأى، كما أن التعريف الثانى تحدث عن المؤثرات التى أدت إلى ظهور الدخيل.

---

(١) الدخيل في التفسير لإبراهيم خليفة ص: ٤٠،.

(٢) الدخيل في تفسير القرآن الكريم لعبد الوهاب فايد ١ / ١٣.

وهذه المؤثرات ذات جانبين رئيسيين:

أحدهما: الجانب الخارجى، المتمثل فى الحاقدين على الإسلام، الذين أرادوا أن يشككوا فى الإسلام وتعاليمه، وذلك بدس خرافاتهم، وتراهاتهم، وأباطيلهم حول القرآن الكريم، قاصدين من وراء ذلك فتنة المسلمين فى دينهم، وتشكيككهم فى كتاب ربهم، وتفتيت وحدة الأمة.

الثانى: الجانب الثانى، ويتمثل فى طوائف وفرق حُسبت على الإسلام، كالفرق الضلة، والمبتدعة، والمذاهب الفاسدة، كل ذلك أدى إلى انتشار الأباطيل والخرافات فى التفسير كل ينتصر لفرقته ومذهبه بما لا أصل له [1].

(١) انظر: الدخيل فى التفسير للدكتور عبدالوهاب فايد ١٣/١. (بتصرف).

وبعد أن عرفنا الدخيل يجدر بنا أن نعرف الأصيل الذى هو ضد الدخيل

الأصيل في اللغة:

قال ابن منظور:" الأصل: أسفل كل شيء وجمعه أصول، وأصل الشيء: صار ذا أصل، ورجل أصيل: له أصل. ورأي أصيل: له أصل. [١]

الأصيل في الاصطلاح:

هو ما ثبت عن طريق القرآن أوالسنة أو أقوال الصحابة، أو أقوال التابعين ثبوتاً مقبولاً، أو ما ورد عن طريق التفسير بالرأي المحمود "[٢].

وهذا التعريف يوضح لنا مصادر التفسير **أحدها:** التفسير بالمأثور وهو ما جاء في القرآن أو السنة أو كلام الصحابة والتابعين بيانًا لمراد الله تعالى من كتابه، وقد أوضح ذلك الإمام ابن تيمية – رحمه الله– فقال: " فإن قال قائل فما أحسن طرق التفسير؟ فالجواب إن أصح الطرق فى ذلك أن يفسر القرآن بالقرآن فما أُجمل فى مكان فإنه قد فُسر فى موضع آخر، وما اختُصِر فى مكان قد بُسِط فى موضع آخر. فإن أعياك ذلك فعليك بالسنة، فإنها شارحة للقرآن وموضحة له. . وإذا لم نجد التفسير فى القرآن ولا فى السنة رجعنا فى ذلك إلى أقوال الصحابة، فإنهم أدرى بذلك لما

---

(١) لسان العرب لابن منظور مادة (أصل) ١٦/١١.

(٢) أصول الدخيل في تفسير آي التنزيل لجمال مصطفى النجار ص: ٢٤.

شاهدوا من القرائن والأحوال التى اختصوا بها، ولما لهم من الفهم التام والعلم الصحيح والعمل الصالح لاسيما علماؤهم وكبراؤهم. وإذا لم تجد التفسير فى القرآن ولا فى السنة ولا وجدته عن الصحابة، فقد رجع كثير من الأئمة فى ذلك إلى أقوال التابعين. (١)

أما الثاني: التفسير بالرأى فهو عبارة عن تفسير القرآن بالاجتهاد بعد معرفة المفسر لكلام العرب، ومناحيهم فى القول، ومعرفة الألفاظ العربية ووجوه دلالتها، واستعانته في ذلك بالشعر الجاهلي، ووقوفه على أسباب النزول، والناسخ والمنسوخ من آيات القرآن وغير ذلك مما يحتاج إليه المفسر.

فإذا كان مستندًا إلى ما يجب الاستناد إليه من معرفة المفسر لكلام العرب، متمكنًا من علوم اللغة العربية وغيرهما من الأدوات التى تعينه على التفسير، بعيدًا عن الجهالة والضلالة، فالتفسير به محمود، وإلا فمذموم.

ونخلص مما سبق بما يلى:

- أن التفسير الأصيل هو الذى لم يخرج عن الأصول والقواعد التى رسمها العلماء لقبوله، بحيث يكون مستمدًا لروحه من القرآن والسنة وأقوال الصحابة والتابعين – رضى الله عنهم –.

---

(١) مجموع الفتاوى لابن تيمية مقدمة التفسير تحقيق عبد الرحمن بن محمد بن قاسم ٣٦٣/١٣، ٣٦٨، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، طبعة (١٤١٦هـ-١٩٩٥م).

- أما الدخيل فهو ما شذ عن هذه الأصول والقواعد التى يصير بها التفسير مقبولاً، إلى اتباع الهوى والتمذهب مما يخرج التفسير إلى غير المراد منه.

المبحث الثانى

أقسام الدخيل

لقد تسرب الدخيل إلى التفسير معتمدًا على الزيف والدس فيما نقل عن النبى -ﷺ-، وما نقل عن الصحابة والتابعين من آثار ومرويات، وهذا يسمى بالدخيل فى المأثور، واعتمد أيضًا على التفسير بالرأى المذموم الذى لم يستكمل الشروط الواجب توافرها فيمن يتصدى لتفسير كتاب الله تعالى، وكذلك عن طريق الفرق والمذاهب التى نسبت للإسلام، وهذا يسمى بالدخيل فى بالرأى.

وهاك عرض لقسمى الدخيل فى التفسير:

القسم الأول: الدخيل فى المأثور(المنقول)

يقع الدخيل فى المنقول فى عدة صور[١] وهى كالتالى:

أولا - الأحاديث الموضوعة:

الحديث الموضوع: هو المختلق المصنوع، أي الذي ينسب إلى رسول الله -ﷺ- كذبا، وليس له صلة حقيقية بالنبي -ﷺ-أو على من بعده من الصحابة أو التابعين[٢].

---

(١) انظر: الدخيل فى التفسير لإبراهيم خليفة ص (٣٣).

(٢) تدريب الراوى للسيوطى ٣٢٣/١.

والحديث الموضوع من حيث مصدره يرجع إلى نوعين:

الأول: أن يضع الواضع كلاماً من عند نفسه ثم ينسبه إلى النبي ﷺ أو إلى الصحابة أو التابعين.

الثاني: أن يأخذ كلاماً لبعض الصحابة أو التابعين أو الحكماء أو الصوفية أو ما يروى في الإسرائيليات فينسبه إلى رسول الله ﷺ لينال القبول والرواج.[1]

والأمثلة على ذلك:

١- من أقوال الصحابة: مثل ما يروى من حديث: " أحب حبيبك هوناً ما عسى أن يكون بغيضك يوماً ما، وأبغض بغيضك هوناً ما عسى أن يكون حبيبك يوماً ما ". فالصحيح أنه من قول سيدنا علي – كرم الله وجهه –.

٢-ومن أقوال التابعين: حديث " كأنك بالدنيا لم تكن وبالآخرة لم تزل ". فالصحيح أنه من كلام عمر بن عبد العزيز ﷺ.

٣-ومن كلام الحكماء: " المعدة بيت الداء، والحمية رأس كل دواء " فمن كلام الحارث بن كلدة طبيب العرب، وليس حديثاً.

٤-ومن كلام الصوفية: " كنت كنزاً مخفياً، فأحببت أن أعرف فخلقت الخلق، فعرفتهم بي فعرفوني ".

---

(١) انظر: الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير لأبى شهبة ص (١٤)،

٥-ومن الإسرائيليات: " ما وسعني سمائي ولا أرضي ولكن وسعني قلب عبدي المؤمن " قال الإمام ابن تيمية: هو من الإسرائيليات، وليس له أصل معروف عن النبي ﷺ وأيضًا ما روي عن ابن عباس – رضي الله عنهما –: " أن عمر الدنيا سبع آلاف سنة. هو من الإسرائيليات ".

وقد نسب إلى النبي ﷺ وإلى الصحابة والتابعين كثير من الإسرائيليات في بدء الخلق والمعاد وأخبار الأمم الماضية والكونيات، وقصص الأنبياء[١]

وهناك علامات وقرائن يعرف بها الحديث الموضوع قسمها العلماء إلى قسمين:الأول: علامات ترجع إلى السند أي رجال الإسناد.الثاني: علامات ترجع إلى متن الحديث:

القسم الأول العلامات التي ترجع إلى الإسناد ويعرف ذلك ويطبقه علماء السنة النبوية الذين يعرفون أسماء الرواة وأخبارهم، وكلام علماء الجرح والتعديل في الرجال.

أ – إقرار الواضع بأنه وضع الحديث، وهذا من أقوى الأدلة على الوضع.

ب – ما ينزل منزلة إقرار الواضع. كأن يروي الحديث عن شيخ لم يثبت لقياه له، كأن يكون الشيخ مات قبل أن يولد الراوي، أو يذكر تاريخاً لسماعه منه وثبت وفاة الشيخ قبله.

ج – الحالة النفسية للراوي تدل على كذبه فيما يرويه.

مثاله: ما روي عن سيف بن عمر التميمي قال: " كنت عند سعيد

---

(١) انظر: الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير لأبى شهبة ص (١٤).

بن طريف فجاء ابنه من الكُتَّاب يبكي قال: ما لك؟ قال ضربني المعلم، قال: لأخزينهم اليوم، حدثني عكرمة عن ابن عباس مرفوعاً: " معلموا صبيانكم شراركم، أقلهم رحمة لليتيم، وأغلظهم على المسكين ".

د – **أن ينفرد الراوي برواية الحديث** وهو معروف بالكذب لدى علماء الجرح والتعديل، ولا يشاركه أحد من الثقات في روايته.

مثاله: حديث عن ابن عباس قال: سألت النبي ﷺ عن الكلمات التي تلقاها آدم من ربه، قال: سأل بحق محمد وعلى وفاطمة والحسن والحسين إلا تبت علي فتاب عليه. قال الإمام الدار قطني: " تفرد به عمرو بن ثابت وقد قال يحيى عنه: إنه لا ثقة ولا مأمون، وقال ابن حبان: يروي الموضوعات.

وقد بين علماء الجرح والتعديل الوضاعين فقال الإمام النسائي: "الكذابون المعروفون بوضع الأحاديث أربعة: ابن أبي يحيى بالمدينة، والواقدي ببغداد، ومقاتل بخرسان، ومحمد بن سعيد المصلوب بالشام " وقد تقدم ذكر بعضهم أيضاً [1].

وهذه الأمارات التي تختص برجال الإسناد توضح مدى ما قام به علماء السنة في خدمة الأحاديث الشريفة.

القسم الثاني: العلامات التي ترجع إلى المتن أي المروي، فالرسول ﷺ

---

(١) الباعث الحثيث شرح اختصار علوم الحديث ص: ٦٨، وتدريب الراوي ١ / ٣٤٨ بتصرف.

أفصح العرب وأحكم الحكماء، وقد أعطاه الله ﷻ جوامع الكلم وقال في حقه ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى * إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَى ﴾ (٢)

فلا يمكن أن يحاكي إنسان كلام الرسول ﷺ كما لا يمكن أن يقول الرسول الكريم كلاماً يخالف الحكمة أو يناقض الشرع والعقل، ولا أن يكون في كلامه خلل في الفصاحة والبلاغة.

ومن الأمارات والقرائن التى يعرف بها المتن ما يأتي:

١ – أن يكون الحديث ركيكاً ولا يمكن أن يصدر عن الرسول ﷺ أفصح العرب:

والركاكة قد تكون راجعة إلى اللفظ وقد تكون راجعة إلى معنى، قال الحافظ ابن حجر: " المدار في الركة يكون على ركة المعنى وإن لم ينضم إليها اللفظ، مثاله: " لا تسبوا الديك فإنه صديقي وأنا صديقه ".

٢ – أن يكون مخالفاً لصريح القرآن الكريم، أو السنة النبوية الصحيحة أو الإجماع القطعي.

مثاله: أ – مخالفة صريح القرآن مثل: " إذا روى عني حديث فاعرضوه على كتاب الله فإذا وافقه فاقبلوه، وإن خالفه فردوه ".

قال الإمام الشوكاني: هذا الحديث من وضع الزنادقة.

---

(٢) سورة النجم الآيتان: ٣، ٤.

والمتن فيه ما يرده ويخالف صريح القرآن الكريم: ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ (١).

ب – ما يخالف السنة الصحيحة: مثل: إذا حدثتم عني بحديث يوافق الحق فخذوا به، حدثت به أو لم أحدث " فهو مناقض لقوله ﷺ في الحديث الصحيح: " من كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار" (٢).

ج – المخالف للإجماع القطعي: مثل حديث: " من قضى صلوات من الفرائض في آخر جمعة من رمضان كان ذلك جابراً لكل صلاة فاتته في عمره إلى سبعين سنة " فإن هذا يخالف إجماع العلماء على أن الصلاة الفائتة لا تسقط عن المكلف بحال، ولا يقوم مقامها شيء من العبادات الأخرى

٣ – أن يكون المتن مخالفاً للعقل ولا يقبل التأويل:

مثاله: ما رواه ابن الجوزي من طريق عبد الرحمن بن زيد بن أسلم عن أبيه عن جده مرفوعاً: " إن سفينة نوح طافت بالبيت سبعاً، وصلت عند المقام ركعتين "(٣).

٤ – أن يكون مخالفاً للحس والمشاهدة:

---

(١) سورة الحشر الآية: ٧.

(٢) أحمد فى مسنده ٢٩٢/٥.

(٣) الموضوعات لابن الجوزى ١٠٢/١.

مثاله ما رواه ابن الجوزي أيضاً عن ابن عباس قال: كنا في وليمة رجل من الأنصار، فأتى بطعام فيه باذنجان، فقال رجل من القوم: يا رسول الله إن الباذنجان يهيج المرارة، فأكل رسول الله ﷺ باذنجانة في لقمة وقال: " إنما الباذنجان شفاء من كل داء ولا داء فيه "، و أيضاً " إن الباذنجان شفاء من كل داء " [1].

٥ – أن يكون مخالفاً لحقائق التاريخ:

مثاله: حديث: " لما أسري بي إلى السماء أدخلني جبريل الجنة، فناولني تفاحة فأكلتها، فصارت نطفة في صلبي، فلما نزلت واقعت خديجة، ففاطمة من تلك النطفة " فالثابت من التاريخ أن السيدة فاطمة ولدت قبل بعثة الرسول ﷺ.

يقول الإمام ابن الجوزى –رحمه الله–: " ذا حديث موضوع لا يشك المبتدئ في العلم في وضعه فكيف بالمتبحر، ولقد كان الذي وضعه أجهل الجهال بالنقل والتاريخ، فإن فاطمة ولدت قبل النبوة بخمس سنين. . . وقد كان لفاطمة من العمر ليلة المعراج سبع عشرة سنة، فسبحان من فضح هذا الجاهل الواضع، على يد نفسه "[2].

٦ – أن يشتمل الحديث على مجازفات ومبالغات لا يمكن أن تصدر عن عاقل، كأن يكون فيه وعيد شديد على أمر صغير أو وعد عظيم

---

(١)الموضوعات لابن الجوزى٢ / ٣٠١.

(٢) الموضوعات لابن الجوزى ٤١٣/١.

على فعل قليل، وهذا كثير في أحاديث القصاص.

مثاله: أ – وعيد شديد على أمر صغير مثل: " من رد جائعا وهو قادر على أن يشبعه عذبه الله ولو كان نبيًا مرسلا "[١].

ب – وعد عظيم على فعل قليل مثل: " من علق في مسجد قنديلاً صلى عليه سبعون ألف ملك حتى ينطفئ ذلك القنديل، ومن بسط فيه حصيراً صلى عليه ألف ملك حتى ينقطع ذلك الحصير " قال الشوكاني: " في إسناده عمر بن صبح كذاب ".

٧ – أن يكون الراوي رافضياً والحديث في فضائل أهل البيت.

مثاله: حديث: " خلقت أنا وعلي من نور، وكنا على يمين العرش قبل أن يخلق آدم بألفي عام ثم خلق الله آدم ".

وقد اشتهر الرافضة بوضع الأحاديث في فضل الإمام علي وآل البيت:

ومنها: " إن الشمس غابت، ففاتت علياً صلاة العصر، فردت له الشمس " فلم يرو هذا الحديث ثقة، فهو موضوع من ناحية السند ومن ناحية المتن فإن الوقت قد فات ورجوع الشمس طلوع متجدد فلا يرد الوقت الأصلي لأداء الصلاة، وأيضاً الملائكة الذين يصعدون بالأعمال عقب صلاة العصر فلن ترجع بعد ذهاب الوقت مرة ثانية[٢].

---

(١)تذكرة الموضوعات للفتنى ص (١٠٤).

(٢) الدخيل في تفسير القرآن الكريم ٢ / ٢٢، والحديث والمحدثون ص: ٤٨٢ بتصرف،

ثانيا- الأحاديث الضعيفة:

الحديث الضعيف: هو كل حديث لم يجتمع فيه صفات الحديث الصحيح ولا صفات الحديث الحسن وهى ستة اتصال السند أو جبر المرسل بما يؤكده وعدالة الرجال والسلامة من كثرة الخطأ والغفلة ومجيء الحديث من وجه آخر حيث كان في الإسناد مستور ليس منهما كثير الغلط والسلامة من الشذوذ والسلامة من العلة. (١)

يظهر أن التفسير بالأحاديث الضعيفة ضعفًا شديدًا مما لا ينجبر بالشواهد والمتابعات، كأن يكون الراوى فقد شرط العدالة، كرواية أحد الكذابين أو المتروكين أو المتهمين بالكذب أو الفسف أو ما يخرم المروءة، أو كان المروى مشتملا على ما يستحيله الشرع أو العقل أو اللغة، فما كان منها كذلك فإنه يعد من الدخيل فى التفسير، لذا يجب الاعتماد على التفسير الصحيح والحسن والحذر من الروايات الضعيفة الواهية التى حُشى بها كثير من كتب التفسير.

ثالثا- ما لم يثبت من مأثور الصحابة أو التابعين، وبخاصة ما كان مرفوعًا إلى بعض الصحابة، مثل على، وابن عباس، وابن مسعود، وأنس، وغيرهم -رضى الله عنهم أجمعين، وما كان منسوبًا إلى بعض

والوسيط فى علوم الحديث لأبى شهبة ص (٣٣٥).

(١) التقييد والإيضاح شرح مقدمة ابن الصلاح للعراقى ص (٦٣).

التابعين، مثل مجاهد، وقتادة وعكرمة، والحسن، وابن جبير، وغيرهم – رضى الله عنهم أجمعين.

رابعا:الإسرائيليات:

هي كل ما تطرق إلى التفسير والحديث من أساطير قديمة منسوبة في أصل روايتها إلى مصدر يهودي أو نصراني أو غيرهما. [١]

وبخاصة المخالفة للشرع أو العقل المأخوذة من أهل الكتاب والمتعلقة بأخبار وقصص الأولين، وما جرى مع الأنبياء والمرسلين.

لقد كان لهذه الإسرائيليات التى أخذها المفسِّرون عن أهل الكتاب وشرحوا بها كتاب الله تعالى أثر سئ فى التفسير، ذلك لأن الأمر لم يقف على ما كان عليه فى عهد الصحابة، بل زادوا على ذلك فرووا كل ما قيل لهم إن صدقًا وإن كذبًا، بل ودخل هذا النوع من التفسير كثير من القصص الخيالى المخترَع، مما جعل الناظر فى كتب التفسير التى هذا شأنها يكاد لا يقبل شيئًا مما جاء فيها، لاعتقاده أنَّ الكل من واد واحد. وفى الحق أنَّ المكثرين من هذه الإسرائيليات وضعوا الشوك فى طريق المشتغلين بالتفسير، وذهبوا بكثير من الأخبار الصحيحة بجانب ما رووه من قصص مكذوب وأخبار لا تصح، كما أن نسبة هذه الإسرائيليات التى لا يكاد يصح شئ منها إلى بعض من آمن مِنْ أهل الكتاب، جعلت بعض الناس ينظر إليهم بعين الاتهام والريبة. [٢]

---

(١) انظر: الإسرائيليات في التفسير والحديث للذهبى (١٩، ٢٠)، والإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير د / محمد أبو شهبه (١٢).

(٢) التفسير والمفسرون للذهبى ١/١٣١.

يقول الأستاذ الدكتور عبد الوهاب فايد – رحمه الله –: " وأغلب هذه الإسرائيليات تتعلق بما جرى للأولين وما حدث للأنبياء والمرسلين، ولا تخلوا هذه الإسرائيليات من تناقض وتهافت وكذب وبهتان؛ لأنها مستمدة من التوراة والإنجيل وهما قد أصابهما التحريف والتبديل، بل إن بعض علماء الإسلام توسع في معنى الإسرائيليات فأطلقها على كل ما دسه أعداء الإسلام في ثقافة المسلمين ولو كان من أصل غير إسرائيلي، كالأساطير التي نقلت عن المجوس مثلاً، وحينئذ يكون إطلاق الإسرائيليات على ذلك من باب التغليب "[1].

أقسام الإسرائيليات وحكم روايتها:

تنقسم الإسرائيليات إلى ثلاثة أقسام:

الأول: ما علمنا صدقه، لأن في شريعتنا ما يصدقه ويوافقه وهذا القسم مقبول وتجوز روايته.

الثاني: ما علمنا كذبه؛ لأن في شريعتنا ما يكذبه ويخالفه، وهذا القسم مردود ولا تجوز روايته إلا مقروناً بما يبين زيفه وبطلانه.

الثالث: ما لم نعلم صدقه ولا كذبه؛ لأنه ليس في شريعتنا ما يوافقه ولا يخالفه، وهذا القسم متوقف في قبوله فلا نصدقه ولا نكذبه، وذهب بعض العلماء إلى جواز روايته على سبيل الاستئناس، وذهب البعض الآخر إلى

---

(١)الدخيل في تفسير القرآن ١ / ١٠٩.

عدم روايته.

وهذه بعض الأمثلة التوضيحية للأقسام السابقة:

(أ) **القسم الأول**: ما علمنا صدقه ويوافقه ما عندنا ومثاله:

ما أخرجه الإمام البخاري بسنده عن عبد الله بن عمرو بن العاص – رضي الله عنهما – أن هذه الآية التي في القرآن ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴾ قال في التوراة: " يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً، وحرزاً للأميين، أنت عبدي ورسولي، سميتك المتوكل، ليس بفظ ولا غليظ ولا سخاب بالأسواق، ولا يدفع السيئة بالسيئة، ولكن يعفو ويصفح، ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء بأن يقولوا: لا إله إلا الله، فيفتح به أعيناً عمياً وآذاناً صماً، وقلوب غلفاً "[1].

(ب) **القسم الثاني**: ما علمنا كذبه فهذا لا تجوز روايته إلا مقروناً بما يبين بطلانه لأن عندنا ما يخالفه ويكذبه، ومثاله:

ما زعمه اليهود أن الله ﷻ خلق الخلق في ستة أيام ثم استراح في اليوم السابع.فقد جاء في سفر التكوين أن الله فرغ من جميع أعماله في ستة أيام واستراح في اليوم السابع.

إنهم يشبهونه تعالى بالمخلوق الذي يصيبه التعب من العمل، والله ﷻ منزه

---

(١) صحيح البخاري كتاب التفسير باب: ٣ في فتح الباري ٨ / ٤٤٩، والآية (٤٥) من سورة الأحزاب

عن كل ذلك تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً، قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ﴾[1].

يقول الإمام ابن كثير – رحمه الله – عند تفسير هذه الآية الكريمة: " وقال قتادة: قالت اليهود – عليهم لعائن الله – خلق الله السماوات والأرض في ستة أيام ثم استراح في اليوم السابع وهو يوم السبت، وهم يسمونه يوم الراحة، فأنزل الله تعالى تكذيبهم فيما قالوا وتأولوه ﴿ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوب ﴾ أي من إعياء ولا تعب ولا نصب كما قال تبارك وتعالى في الآية الأخرى: ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَلَمْ يَعْيَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى بَلَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾[2]

وكما قال :ﷻ﴿ لَخَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ ﴾ [3].

وهذا الكلام المخالف لما في شرعنا لا تجوز روايته – كما تقدم – إلا مقروناً بما يبين زيفه ويظهر بطلانه حتى يتضح التحريف والتبديل الذي وقعوا فيه.

ويدخل في هذا القسم أيضاً ما يخل بعصمة الأنبياء – عليهم الصلاة والسلام – ففي قصص بعض الأنبياء من الإسرائيليات ما لا يجوز

---

(١) سورة ق الآية: ٣٨.

(٢) سورة الأحقاف الآية: ٣٣

(٣)تفسير القرآن العظيم ٤ / ٢٢٩، والآية في سورة غافر رقم: ٥٧.

أن يقع في حق عوام الناس، أو ينسب إليهم مثل ما ورد في حق سيدنا داود عليه السلام، وفي حق سيدنا سليمان، وسيدنا يوسف، وسيدنا هارون وغيرهم – عليهم الصلاة والسلام أجمعين –.

(ج) القسم الثالث: ما لم نعلم صدقه ولا كذبه في شرعنا ما يصدقه فنأخذ به ولا ما يكذبه فنتركه أي المسكوت عنه في شريعتنا.

ومثاله: ما أبهم القرآن الكريم تفصيله لعدم الفائدة من معرفته، فالقرآن الكريم يركز على موطن العظة والعبرة للفائدة في هذا التركيز، فلم يتعرض القرآن الكريم للتفاصيل في قصة أصحاب الكهف مثل: ذكر أسمائهم ولون كلبهم وعدتهم، وأنواع وأسماء الطيور التي أحياها الله عز وجل لسيدنا إبراهيم عليه السلام، وعصا سيدنا موسى عليه السلام من أي أنواع الشجر، وسفينة سيدنا نوح عليه السلام من أي أنواع الشجر وما هي مكوناتها والأزواج التي حملها فيها وغير ذلك مما لا يعود على القارئ بفائدة.

وقد أجمل الدكتور الذهبي – رحمه الله – حكم رواية الإسرائيليات فقال: تحت عنوان: وخلاصة القول ف حكم رواية الإسرائيليات ما نصه " إن ما جاء موافقاً لما في شرعنا صدقناه، وجازت روايته، وما جاء مخالفاً لما في شرعنا كذبناه وحرمت روايته إلا لبيان بطلانه، وما سكت عنه شرعنا توقفنا فيه، فلا نحكم عليه بصدق ولا بكذب وتجوز روايته، لأن غالب ما يروى من ذلك راجع إلى القصص والأخبار لا إلى العقائد والأحكام، وروايته ليست إلا مجرد حكاية له كما هو في كتبهم أو كما يحدثون به بصرف

النظر عن كونه حقاً أو غير حق "[1]

القسم الثانى

الدخيل فى التفسير بالرأى

وهو ما نشأ عن الرأى المذموم الذى لم يستكمل الشروط الواجب توافرها فيمن يتصدى للتفسير.

والدخيل فى الرأى يشتمل إجمالا على ما يلى:

١-الدخيل عن طريق الملاحدة وعلى رأسهم الفرق الباطنية وهم البابية، والبهائية، والقاديانية.

٢- الدخيل عن طريق الفرق المبتدعة كالشيعة والخوارج والمعتزلة.

٣- الدخيل عن طريق المذاهب الفاسدة كشطحات الصوفية، والتأويلات الفاسدة للتفسير العلمى.

وتفصيل ما سبق فيما يلى:

أولا: الدخيل عن طريق الباطنية:

والباطنية اسم يطلق على جماعات متعددة من غلاة الشيعة، كالإسماعيلية، والقرامطة، والخرمية، والرافضة، وإنما أطلق عليهم جميعًا هذا الاسم؛ لاشتراكهم جميعًا في مبدأ التأويل الباطني، وللنصوص الشرعية، وهذه الدعوة ظهرت أولًا في زمن المأمون، وانتشرت في زمان

---

(١) الإسرائيليات في التفسير والحديث ص: ٨٨.

المعتصم، ولها فروع، وتكاثرت هذه الفرقة، ثم نتج عنها فِرَق قاديانية والبابية، والبهائية

(أ) البابية :

نسبة إلى الباب، وهو لقب ميرزا علىّ محمد، الذى ابتدع هذه النِحْلة، وإليه تُنسب هذه الطائفة، باعتباره المؤسس الأول لها.

وأصل نشأة هذه الطائفة: أن ميرزا على محمد، الملقب بالباب، والمولود فى سنة (١٢٣٥) هجرية، توفى عنه والده ميرزا محمد رضا قبل فطامه، فربى في حجر خاله ميرزا سيد على، ونشأ معه فى مدينة شيراز بجنوب إيران، واشتغل معه بالتجارة، ولما بلغ سنه الخامسة والعشرين ادعى أنه الباب – والباب عند الشيعة معناه نائب المهدى المنتظر – وكان ادعاؤه هذا فى سنة(١٢٦٠)هجرية، وما لبث أن وصلت هذه الدعوة إلى طائفة من الجاهلين فصدقوا بها، وتتابعوا عليها، وكان عدد من صدقه في أول الأمر ثمانية عشر رجلا، فسماهم بكلمة "حى" لأن عدد حرفيها بحساب الجمل ثمانية عشر، ثم أمر أتباعه هؤلاء بالانتشار في إيران وبلاد العراق، يبشرون به وبدعوته، وأوصاهم بكتمان اسمه حتى يظهره هو بنفسه، ولما حج وفرغ من أعمال الحج أعلن دعوته فى المجتمع الكبير فاشتهر اسمه، ولما حج وفرغ من أعمال الحج أعلن دعوته في المجتمع الكبير فاشتهر اسمه، وذاعت دعوته، فثارت عليه طوائف المسلمين، وقاموا فى سبيل دعوته يحاربونها بكل الوسائل

وقد عقد بعض الولاة بين العلماء وبين الباب مناظرات أظهرت ما فى دعوته من غواية وضلال، فكفره بعض العلماء، ورماه بعض آخر منهم بالجنون، فاعتقله الوالى فى سجن شيراز، ثم فى سجن أصفهان، ثم فى طهران، ثم فى أذربيجان. وفى عهد السلطان ناصر الدين شاه اشتدت الخصومة بين البابيين ومخالفيهم، وقامت بينهم حرب طاحنة كان من نتائجها أن أمر الصدر الأعظم بقتل الباب، فعلق في ميدان مدينة تبريز، وقتل رميا بالرصاص، وذلك فى سنة (١٢٦٥)هجرية.

وبعد قتله اختلف أتباعه على أنفسهم في شأن من ينوب عنه، وظهرت من بعض أتباعه دعاوى مختلفة، من قبيل النبوة، والوصاية، والولاية، وأمثالها، وظلوا على هذا الأمر إلى أن حاول بعضهم اغتيال ناصر الدين شاه سنة (١٢٦٨)هجرية انتقاما لزعيمهم الباب، ولما خاب سعيهم وفشلوا فى هذه المؤامرة، أخذت الحكومة تضطهد زعماء البابيين، وتسوقهم إلى التحقيق، فقتل من قتل، ونفى من نفى، وكان من بين زعمائهم فى هذا الوقت – وقت الاضطهاد – ميرزا حسين على الملقب فيما بعد "بهاء الله".[1]

(١) انظر: التفسير والمفسرون للذهبى ١٩٦/٢.

وإليك بعض ما قاله الباب في تفسيره لسورة يوسف، لتقف على مقدار هذيانه، وتلاعبه بالنصوص القرآنية:

عند قوله تعالى فى الآية: ﴿ إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَاأَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ﴾ [١] يقول ما نصه: "وقد قصد الرحمن من ذكر يوسف نفس الرسول، وثمرة البتول،حسين ابن علي بن أبى طالب مشهودا. إذا قال حسين لأبيه يوما: إنى رأيت أحد عشر كوكبا والشمس والقمر رأيتهم بالإحاطة على الحق لله القديم سجادا. . وإن الله قد أراد بالشمس فاطمة، وبالقمر محمدا، وبالنجوم أئمة الحق فى أم الكتاب معروفا، فهم الذين يبكون على يوسف بإذن الله سجدا وقياما". [٢]

(ب) البهائية :

نسبة إلى بهاء الله، وهو لقب ميرزا حسين على، الزعيم الثانى للبابية، وإليه تنسب هذه الطائفة، باعتباره المؤسس الثانى لها، ولد بهاء الله سنة (١٢٣٣هـ)، وكان ابنه ميرزا عباس من كبار وزراء الدولة فى وقته، فلما قام الباب واشتهر أمره صدقه بهاء الله، فاشتد به أزر البابيين وكثرت جماعتهم، ولما حدثت حادثة سنة (١٢٦٨هـ)، وهى محاولة اغتيال ناصر الدين شاه، قبض على بهاء الله وسجن نحو أربعة أشهر، ثم أفرج عنه وأبعد إلى العراق، فدخل بغداد سنة(١٢٦٩هـ)، ومكث بها اثنى عشر عاما، يدعو الناس إلى نفسه، ويزعم أنه هو الموعود به الذى أخبر عنه الباب،

---

(١) يوسف (٤).

(٢) انظر: التفسير والمفسرون للذهبى ١٩٦/٢.

وكان يشير إليه بلفظ "من يظهره الله" وهناك تجمع حوله بعض أتباعه الذين لحقوا به من البابيين، وتسموا حينئذ بالبهائيين، ووقعت بينهم وبين شيعة العراق فتنة كادت تفضي إلى قيام حرب أهلية بين الفريقين، فقررت الحكومة العثمانية فى ذلك الوقت إرسال بهاء الله إلى الآستانة، فأرسل إليها ومكث بها نحوا من أربعة أشهر، ثم نفى إلى أدرنة ومكث بها نحوا من خمس سنوات، ثم نفى منها إلى عكا من بلاد الشام سنة (١٢٨٥هـ)، وبقى بها إلى أن مات سنة (١٣٠٩هـ)، فتولى رئاسة الطائفة ابنه عباس (المولود سنة ١٨٤٤م) والمتوفى سنة ١٩٢١م) والملقب "عبد البهاء"، فأخذ يدعو إلى هذا المذهب، ويتصرف فيه كيف يشاء، فلم يرض هذا الصنيع أتباع البهاء فانشقوا عليه، والتف فريق منهم حول أخيه الميرزا على، وألفوا كتبا في الطعن على عبد البهاء يتهمونه فيها بالمروق من دين البهاء. [١]

ومن مظاهر إلحادهم فى تفسير كتاب الله ما يرويه بهاء الله أن ما ورد فى القرآن عن الصراط، والزكاة، والصيام، والحج، والكعبة، والبلد الحرام، وما إلى ذلك، كله لا يراد به ظاهره وإنما يراد به الأئمة. وفى هذا يقول: "قال أبو جعفر الطوسى: قلت لأبى عبد الله: أنتم الصراط فى كتاب الله، وأنتم الزكاة، وأنتم الحج؟ قال: يا فلان؛ نحن الصراط فى كتاب الله عز وجل، ونحن الزكاة، ونحن الصيام، ونحن الحج، ونحن الشهر الحرام، ونحن البلد الحرام، ونحن كعبة الله، ونحن قبلة الله، ونحن وجه الله". [٢]

---

(١) انظر: التفسير والمفسرون للذهبى ١٨٩/٢-١٩٠.

(٢) المرجع السابق ١٩٧/٢.

ومن ذلك أيضًا فسروا قوله تعالى: ﴿ وَوَاعَدْنَا مُوسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَاهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً وَقَالَ مُوسَى لِأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ * وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرَانِي وَلَكِنِ انْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾[1]، تفسيرا باطنيا فقالوا: "المراد بالليل هو عبارة عن أيام غيبة شمس الحقيقة، واليوم حسب ما نزل فى التوراة المقدس يحسب كل يوم واحد بسنة واحدة، وكان موسى عليه السلام لما فارق أرض مصر، وفر من فرعون وملئه إلى مدين، كان ابن ثلاثين، وأقام فى مدين عشر سنوات يشتغل فيها برعى أغنام شعيب النبى عليه السلام، وكان فى طى هذه المدة التى كانت كالليالى المظلمة، والدياجى الكالحة من ظلم الفراعنة، وأوهام الصابئة، مشتغلا بتهذيب أخلاقه، وتطييب أعراقه، وتنقية فؤاده، والمناجاة مع ربه فى وحدته وانفراده، فلما طاب خلقه، وتم خلقه، بعثه الله نبيا لهداية بنى إسرائيل، وإنقاذهم من ذلك الوبيل. فالمراد بأربعين ليلة هو أربعون سنة. أقام موسى عليه السلام فى أثنائها فى مصر ومدين[2].

وفى الحجج البهية يقرر أبو الفضائل: أن جميع الديانات السماوية. وغير السماوية واحدة من ناحية الاتفاق على العقائد الأصلية، وإن اختلفت

---

(١) الأعراف (١٤٢)، (١٤٣).

(٢) انظر: التفسير والمفسرون للذهبى ١٩٩/٢.

فى الأحكام الفرعية، وذلك حيث يقول فى تفسيره لقوله تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ﴾[1]: "فانظروا – وفقكم الله – كيف اعتبر فى الآية الكريمة ديانات الصابئة والزردشتية والموسوية والنصرانية والإسلامية دينا واحدا، كما اعتبر مؤسسها وشارعها إلها واحدا، على اختلافها فى الأحكام والحدود والآداب". [2]

وفسروا قوله تعالى ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ ﴾[3] أى أن الشريعة الإسلامية ذهب زمانها واستبدلت بشريعة البهاء، ﴿ وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ﴾[4] أى: أن الدساتير الحديثة قد ظهرت، ﴿ وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ﴾[5] استعيض عنها بالقاطرات، ﴿ وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ﴾[6] أنشئت حدائق للحيوانات، ﴿ وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ﴾[7] أى: انشأت فيها البواخر، ﴿النُّفُوسُ زُوِّجَتْ﴾[8]، أى: اجتمع اليهود والنصارى والمجوس على دين واحد فامتزجوا، وهو دين

---

(١) الشورى (١٣).

(٢) انظر: التفسير والمفسرون للذهبى ٢٠٤/٢، نقلا عن الحجج البهية ص (٢٨).

(٣) التكوير (١).

(٤) التكوير (٣).

(٥) التكوير (٤).

(٦) التكوير(٥).

(٧) التكوير (٦).

(٨) التكوير (٧).

الميرزا حسين البهاء، ﴿ وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ﴾[1]: هى الجنين يسقط هذه الأيام فيسأل عنه من قبل القوانين التى لأنها تمنع الإجهاض، ﴿وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ﴾[2] كثرت الجرائد والمجلات، ﴿وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ﴾[3] انقشعت: أى أن الشريعة الإسلامية لم يعد يستظل بها أحد، ﴿وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ* وَإِذَا الْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ﴾[4] الأولى: لمن عارض الميرزا، والثانية لأتباعه والمؤمنين. [5]

وبهذا يتضح ضلال البابية والبهائية وإدخالهم الأقوال الباطلة فى التفسير تحت دعوى التفسير الباطنى.

(ج) القاديانية :

هم أتباع غلام أحمد المولود في (قاديان) إحدى مدن مقاطعة بنجاب بالهند سنة ١٢٥٢هـ. وقد ظلوا فرقة واحدة مدة حياته وأيام خليفته نور الدين. وفي آخر حياة نور الدين ابتدأ الخلاف وكان من أثره انقسامها بعد وفاته إلى شعبتين:

١ – شعبة قاديان: ورئيسهم محمود بن غلام أحمد.

٢ – شعبة لاهور: وزعيمهم محمد علي الذي ترجم القرآن إلى اللغة الانجليزية.

---

(١) التكوير (٨).

(٢) التكوير (١٠).

(٣) التكوير (١١).

(٤) التكوير (١٢)، (١٣).

(٥) انظر: حقيقة البابية والبهائية للدكتور محسن عبدالحميد ص (١٧٧–١٧٨).

والشعبة الأولى تدين بنبوة أحمد، والثانية تعتقد أنه مصلح. [١]

والقاديانية ثورة على النبوة المحمدية وعلى صاحبها أفضل الصلاة والسلام، وثورة على الإسلام ومؤامرة دينية وسياسية. [٢]

حيث يقوم فكر القاديانية على إدعاء نبوة الميرزا غلام أحمد، وأن النبوة لم تختم بمحمد صلى الله عليه وسلم بل هي جارية، والله يرسل الرسول حسب الضرورة، وأن غلام أحمد هو أفضل الأنبياء جميعاً، ويعتقدون أن جبريل عليه السلام كان ينزل على غلام أحمد وأنه كان يوحى إليه، وأن إلهاماته كالقرآن، والنهي عن الصلاة خلف المسلمين أحياءً، ولا يُصَلَّى على المسلمين أمواتًا. من مبادئهم: نسخ فريضة الجهاد. . . . الخ.

ومن أمثلة تأويلاتهم الفاسدة لكتاب الله تعالى ما يلى:

زعم أنه المقصود بقول الله تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ ﴾[٣]، وقوله تعالى ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى﴾، إلى غير ذلك من الآيات التى خوطب بها النبى – ﷺ–.

وعند تفسير قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَاقَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُوا إِلَى بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ عِنْدَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾[٤]، يرى أن المراد بالقتل هنا إماتة الشهوات.

---

(١) انظر: تبسيط العقائد الإسلامية لحسن محمد أيوب ص (٣١١).

(٢) انظر: القادياني والقاديانية ص (٥).

(٣) الأنبياء (١٠٧).

(٤) البقرة (٥٤).

ويقول عند تفسير قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ بَعَثْنَاكُمْ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾[1] المراد بالموت هنا: زوال الحس، يعنى: أنه غشى عليهم وفقدوا الشعور حين أخذتهم الصاعقة، ثم رد الله إليهم الشعور، فكان ذلك بعثًا لهم، أو المراد زوال القوة العقلية، يعنى: كان اقتراحكم اقتراح جهل وضلالة فكنتم في موت جاهلى، أنقذكم الله منه، ورزقكم الإيمان على نسق قوله تعالى: ﴿ أَوَمَنْ كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[2]، ويقول عند تفسير قوله تعالى ﴿ وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ ﴾[3]، المراد بالهدهد إنسان كان يسمى الهدهد وكان رئيس البوليس السرى فى حكومة سليمان، ويقول عند تفسير قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنْصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ﴾[4]. طائفة من البشر اجتمعوا بالنبى -ﷺ- فى الخفاء، وليس المراد به نفوس لا يقع عليها البصر. [5]

---

(١) البقرة (٥٦).

(٢) الأنعام (١٢٢).

(٣) النمل (٢٠).

(٤) الأحقاف (٢٩).

(٥) انظر: القاديانى والقاديانية للندوى ص (١٥٠-١٥٩).

ثانيًا: الدخيل عن طريق الفرق المبتدعة كالشيعة والخوارج والمعتزلة.

(أ) الدخيل عن طريق الشيعة:

الشيعة هم الذين شايعوا عليًا – رضي الله عنه– على الخصوص. وقالوا بإمامته وخلافته نصًا ووصية[1].

اتخذ الشيعة من التفسير الباطنى ستارًا لما يعتقدون فذهبوا إلى تفسير القرآن الكريم تفسيرًا يتفق مع مبادئهم وعقائدهم، تحت ستار معرفة علم الباطن، وأنهم وحدهم دون غيرهم الأكثر معرفة بعلم الباطن.

وقد وضح الإمام الذهبى –رحمه الله – أثر التفسير الباطنى فى تلاعبهم بنصوص القرآن حيث يقول: "ولقد كان من نتائج هذا التفسير الباطنى للقرآن أن وجد القائلون به أمام أفكارهم مضطربًا بالغًا ومجالا رحبًا، يتسع لكل ما يشاؤه الهوى وتزينه لهم العقيدة، فأخذوا يتصرفون فى القرآن كما يحبون، وعلى أى وجه يشتهون، بعد ما ظنوا أن العامة قد انخدعت بأوهامهم وسلموا بأفكارهم ومبادئهم.

فقالوا – مثلا – إن من لطف الله تعالى أن يشير بواسطة المعانى الباطنة لبعض الآيات إلى ما سيحدث فى المستقبل من حوادث، ويعدون هذا من وجوه إعجازه، ثم يفرعون على هذه القاعدة ما يشاؤه لهم الهوى، وما يزينه فى أعينهم داعى العقيدة وسلطانها، فيقولون مثلا فى قوله تعالى ﴿ لَتَرْكَبُنَّ

---

(١) انظر: الملل والنحل للشهرستانى ١/١٤٦.

طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ﴾ إنه إشارة إلى أن هذه الأمة ستسلك سبيل من كان قبلها من الأمم فى الغدر بالأوصياء بعد الأنبياء.

كذلك مكن لهم القول بباطن القرآن من أن يقولوا: إن اللفظ الذى يراد به العموم ظاهرا، كثيرا ما يراد به الخصوص بحسب المعنى الباطن، فمثلا لفظ "الكافرون" الذى يراد به العموم، يقولون: هو فى الباطن مخصوص بمن كفر بولاية على.

كما مكنهم أيضا من أن يصرفوا الخطاب الذى هو موجه فى الظاهر إلى الأمم السابقة أو إلى أفراد منها، إلى من يصدق عليه الخطاب فى نظرهم من هذه الأمة بحسب الباطن، فمثلا قوله تعالى﴿وَمِنْ قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ ﴾[1] يقولون فيه: قوم موسى فى الباطن هم أهل الإسلام.

ولقد مكنهم أيضا من أن يتركوا أحيانا المعنى الظاهر ويقولوا بالباطن وحده، كما فى قوله تعالى ﴿وَلَوْلَا أَنْ ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا * إِذًا لَأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا﴾[2]

(١) الأعراف (١٥٩).

(٢) الإسراء (٧٤)،(٧٥).

فالظاهر غير مراد عندهم، ويقولون: عنى بذلك غير النبى، لأن مثل هذا لا يليق أن يكون موجها للنبى عليه الصلاة والسلام، وإنما هو معنى به من قد مضى "[1].

وبناء على ما سبق يمكن القول إن الفهم الخاطىء للتفسير الباطنى قد نتج عنه كثير من التفاسير التى خدمت فكرة التفسير الباطنى للآيات ومنها:

١ – تفسير الحسن العسكرى، المتوفى سنة ٢٤٥ هـ لم يتم، وهو مطبوع فى مجلد واحد، ومنه نسخة بدار الكتب المصرية.

٢ – تفسير محمد بن مسعود بن محمد بن عياش السلمى الكوفى المعروف بـ "العياشى" من علماء القرن الثالث الهجرى، وهو من أمهات كتب التفسير عند الشيعة. وعليه يعولون كثيرا، ولم يقع لنا هذا التفسير.

٣ – تفسير على بن إبراهيم القمى. فى أواخر القرن الثالث وأوائل القرن الرابع الهجرى، وهو تفسير مختصر يعتمد عليه أرباب هذا المذهب كثيرا، وهو مطبوع فى مجدل واحد كبير، ومنه نسخة بدار الكتب المصرية.

٤ – التبيان: للشيخ أبى جعفر محمد بن الحسن بن على الطوسى المتوفى سنة ٤٦٠ هـ. وهو الذى استمد منه الطبرسى تفسيره، وقد ذكر صاحب "أعيان الشيعة" أنه يقع فى عشرين مجلدا. ولم يقع لنا هذا التفسير أيضا.

---

(١) التفسير والمفسرون للذهبى ٢/٢٤–٢٥.

٥ – مجمع البيان: لأبى على الفضل بن الحسن الطبرسى المتوفى سنة ٥٣٨ هـ، وهو مطبوع فى مجلدين كبيرين، وموجود بدار الكتب المصرية وبالمكتبة الأزهرية.

٦ – الصافى: لمحمد بن مرتضى، الشهير بملا محسن الكاشى، من علماء القرن الحادي عشر الهجرى، وهو مطبوع فى مجلد واحد كبير، ومنه نسخة بدار الكتب المصرية.

٧ – الأصفى: للمؤلف السابق، وهو مختصر من الصافى، ومطبوع فى مجلد واحد كبير، ومنه نسخة بدار الكتب المصرية، وأخرى بمكتبة الجامعة المصرية "جامعة القاهرة".

٨ – البرهان: لهاشم بن سليمان بن إسماعيل الحسينى البحرانى، المتوفى سنة ١١٠٧ هـ، وهو مطبوع فى مجلدين، وموجود بدار الكتب المصرية.

٩ – مرآة الأنوار ومشكاة الأسرار: للمولى عبد اللطيف الكازرانى، ولم يقع لنا هذا التفسير والموجود منه مقدمته فقط، وهى مطبوعة فى مجلد كبير وموجودة فى دار الكتب المصرية.

١٠ – المؤلف: لمحمد مرتضى الحسينى، المعروف بنور الدين، من علماء القرن الثانى عشر الهجرى، وهو مخطوط فى مجلد واحد صغير، وموجود بدار الكتب المصرية.

١١ – تفسير القرآن: للمولى السيد عبد الله بن محمد رضا العلوى، المتوفى سنة ١٢٤٢ هـ، وهو مطبوع فى مجلد كبير، وموجود بدار الكتب المصرية.

١٢ – بيان السعادة فى مقامات العبادة: لسلطان بن محمد بن حيدر الخراسانى، من علماء القرن الرابع عشر الهجرى، وهو مطبوع فى مجلد كبير وموجود بدار الكتب المصرية.

١٣– آلاء الرحمن فى تفسير القرآن: لمحمد جواد بن الحسن النجفى المتوفى سنة ١٣٥٢ هـ. لم يتم، والموجود منه بدار الكتب المصرية الجزء الأول[١].

يقول الإمام الذهبى –رحمه الله–: كلها تدور حول تركيز عقيدتهم مع اختلاف بينها فى الغلو والاعتدال، واختلاف فى المنهج الذى سلكه مؤلف كل منها "[٢].

ومن الدخيل فى تفاسيرهم ما فسره أبوالحسن العسكرى عند تفسير قوله تعالى: قوله تعالى:﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ ﴾[٣] يقول: "قال العالم موسى بن جعفر: إن رسول الله لما أوقف أمير المؤمنين على بن أبى طالب فى يوم الغدير موقفه المشهور المعروف، ثم قال: يا عباد الله؛ انسبونى، فقالوا: أنت محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف، ثم قال: يا أيها الناس؛ ألست أولى

---

(١) انظر: التفسير والمفسرون للذهبى ٢/٣٣–٣٤.

(٢) المرجع السابق ٢/٣٦.

(٣) البقرة (٨).

بكم من أنفسكم؟ قالوا: بلى يا رسول الله، فنظر إلى السماء وقال: اللهم اشهد بقول هؤلاء – وهو يقول ويقولون ذلك ثلاثا – ثم قال: ألا فمن كنت مولاه وأولى به فهذا على مولاه وأولى به، اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه، وانصر من نصره. واخذل من خذله. . ثم قال: قم يا أبا بكر فبايع له بإمرة المؤمنين، فقام وبايع له. ثم قال: قم يا عمر فبايع له بإمره المؤمنين، فقام فبايع له، ثم قال بعد ذلك لتمام التسعة رؤساء المهاجرين والأنصار، فبايعوا كلهم، فقام من بين جماعتهم عمر بن الخطاب فقال: بخ بخ يا ابن أبى طالب، أصحبت مولاى ومولى كل مؤمن ومؤمنة، ثم تفرقوا عند ذلك وقد وكدت عليهم العهود والمواثيق. ثم إن قوما من متمرديهم وجبابرتهم تواطأوا بينهم لئن كان بمحمد كائنة ليدفعن هذا الأمر من على ولا يتركونه، فعرف الله ذلك من قبلهم، وكانوا يأتون رسول الله ويقولون: لقد أقمت علينا أحب خلق الله إلى الله وإليك وإلينا فكفيتنا مؤنة الظلمة لنا والمتجبرين فى سياستنا، وعلم الله من قلوبهم خلاف ذلك من مواطأة بعضهم لبعض أنهم على العداوة مقيمون، ولدفع الأمر عن مستحقه مؤثرون، فأخبر الله عز وجل محمدا عنهم فقال: يا محمد {ومن الناس من يقول آمنا بالله} الذى أمرك بنصب على إماما وسايسا لأمتك ومدبرا، {وما هم بمؤمنين} بذلك، ولكنهم يتواطأون على إهلاكك وإهلاكه، يوطنون أنفسهم على التمرد على على إن كانت بك كائنة". [1]

(١) التفسير والمفسرون للذهبى ٢/٦٢-٦٣.

أما عن الشجرة التى نهى آدم عن الأكل منها:

يقول عند تفسيره لقوله تعالى:﴿ وَقُلْنَا يَاآدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾[1] يبين المراد من الشجرة ويعلل النهى عنها: "لا تقربا هذه الشجرة: شجرة العلم، شجرة علم محمد وآل محمد، الذين آثرهم الله عز وجل به دون سائر خلقه، فقال الله تعالى: لا تقربا هذه الشجرة، شجرة العلم، فإنها لمحمد وآله خاصة دون غيرهم، ولا يتناول منها بأمر الله إلا هم. . ومنها ما كان يتناوله النبى، وعلى، وفاطمة، والحسن، والحسين، بعد إطعامهم المسكين واليتيم والأسير حتى لم يحسوا بعد بجوع ولا عطش ولا تعب ولا نصب، وهى شجرة تميزت من بين أشجار الجنة، إن سائر أشجار الجنة كان كل نوع منها يحمل نوعا من الثمار والمأكول، وكانت هذه الشجرة وجنسها تحمل البر والعنب والتين والعناب وسائر أنواع الثمار والفواكه والأطعمة، فلذلك اختلف الحاكون لتلك الشجرة، فقال بعضهم: هى برة، وقال آخرون: هى عنبة، وقال آخرون: هى عنابة. قال الله تعالى: ولا تقربا هذه الشجرة تلتمسان بذلك دوحة محمد وآل محمد فى فضلهم، فإن الله تعالى خصهم بهذه دون غيرها، وهى شجرة التى من يتناول منها بإذن الله عز وجل ألهم علم الأولين والآخرين من غير تعلم. ومن تناول منها بغير

---

(١) البقرة (٣٥).

إذن الله خاب من مراده وعصى ربه، {فتكونا من الظالمين}. . بمعصيتكما والتماسكما درجة قد أوثر بها غيركما كما إذ أردتما بغير حكم الله"[1].

وعند قوله تعالى :﴿ وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ فَأَنْجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ﴾[2] نجده يقول: "قال الله عز وجل: واذكروا إذ جعلنا ماء البحر فرقا ينقطع بعضه عن بعض،فأنجيناكم هناك وأغرقنا فرعون وقومه وأنتم تنظرون إليهم وهم يغرقون، وذلك أن موسى لما انتهى إلى البحر أوحى الله عز وجل إليه: قل لبنى إسرائيل جددوا توحيدى، وأمروا بقلوبكم ذكر محمد سيد عبيدى وإمائى، وأعيدوا على أنفسكم الولاية لعلى أخى محمد وآله الطبيين، وقولوا: اللهم بجاههم جوزنا على متن هذا الماء، فإنه يتحول لكم أرضا، فقال لهم موسى ذلك، فقالوا: أتورد علينا ما نكره، وهل فررنا من آل فرعون إلا من خوف الموت، وأنت تقتحم بنا هذا الماء الغمر بهذه الكلمات، وما يدرينا ما يحدث من هذه علينا؟ فقال لموسى كالب بن يوحنا وهو على دابة له – وكان ذلك الخليج أربعة فراسخ – يا نبى الله؛ أمرك الله بهذا أن نقوله وندخل الماء؟ قال: نعم. قال: وأنت تأمرنى به؟ قال: نعم، فوقف وجدد على نفسه من توحيد الله ونبوة محمد وولاية على والطيبين من آلهما ما أمر به، ثم قال: اللهم بجاههم جوزنى على متن هذا الماء، وإذا الماء قصته كأرض لينة، حتى بلغ آخر الخليج ثم عاد راكضا، ثم قال لبنى إسرائيل: يا بنى إسرائيل؛ أطيعوا موسى، فما

---

(١)التفسير والمفسرون للذهبى ٢/٦٩.

(٢) البقرة (٥٠).

هذا الدعاء إلا مفتاح أبواب الجنان، ومغاليق أبواب النيران، ومستنزل الأرزاق. وجالب على عباد الله وإمائه رضا المهيمن الخلاق. فأبوا وقالوا: لا نسير إلا على الأرض، فأوحى الله: يا موسى؛ اضرب بعصاك البحر وقل: اللهم بجاه محمد وآله الطيبين لما فلقته، ففعل؛ فانفلق وظهرت الأرض إلى آخر الخليج، فقال موسى: ادخلوها، قالوا: الأرض وحلة، نخاف أن نرسب فيها، فقال الله عز وجل: يا موسى؛ قل: اللهم بحق محمد وآله الطيبين جففها، فقالها، فأرسل الله عليها ريح الصبا فجفت، فقال موسى: ادخلوها، فقالوا: يا نبى الله؛ نحن اثنتا عشرة قبيلة بنو اثنى عشر أبا، وإن دخلناها رام كل فريق منا تقدم صاحبه، ولا نأمن من وقوع الشر بيننا، فلو كان لكل فريق منا طريق على حدة لأمنا ما نخافه، فأمر الله موسى أن يضرب البحر بعددهم اثنى عشر ضربة، فى اثنتى عشرة موضعا إلى جانب ذلك الموضع ويقول: اللهم بجاه محمد وآله الطيبين بين الأرض لنا، وأقصر الماء عنا، فصار فيه تمام اثنى عشر طريقا، وجف قرار الأرض بريح الصبا، فقال: ادخلوها، فقالوا: كل فريق منا يدخل سكة من هذه السكك لا يدرى ما يحدث على الآخرين، فقال الله عز وجل: فاضرب كل طود من الماء بين هذه السكك، فضرب فقال: اللهم بجاه محمد وآله الطيبين لما جعلت فى هذا الماء طيقانا واسعة يرى بعضهم بعضا، فحدثت طيقان واسعة يرى بعضهم بعضا، ثم دخلوها، فلما بلغوا آخرها جاء فرعون وقومه فدخل بعضهم، فلما دخل آخرهم وهم أولهم بالخروج أمر الله تعالى البحر فانطبق عليهم فغرقوا، وأصحاب موسى ينظرون إليهم فذلك قوله عز وجل:

{وأغرقنا آل فرعون وأنتم تنظرون}. [1] وغير ذلك من التأويلات الفاسدة التى حاولوا بها أن يطوعوا آيات القرآن الكريم وفق ما يعتقدون.

(ب) الدخيل عن طريق الخوارج :

هم الذين خرجوا على سيدنا على – رضى الله عنه– بعد أن ارتضى التحكيم مع معاوية رضى الله عنه، وقالوا لا حكم الا لله، وهى كلمة حق أريد بها باطل. ومذهب الخوارج أن العصاة يعذبون في النار ولا بد سواء كانت ذنوبهم صغائر أو كبائر. [2]

يقول الذهبى – رحمه الله–: " والذى يقرأ تاريخ الخوارج، ويقرأ ما لهم من أفكار تفسيرية، يرى أن المذهب قد سيطر على عقولهم، وتحكم فيها، فأصبحوا لا ينظرون إلى القرآن إلا على ضوئه، ولا يدركون شيئا من معانيه إلا تحت تأثير سلطانه، لا يأخذون منه إلا بقدر ما ينصر مبادئهم ويدعو إليها"[3].

ويقول أيضًا: " وإن الخوارج عندما ينظرون إلى القرآن لا يتعمقون فى التأويل ولا يغوصون وراء المعانى الدقيقة، ولا يكلفون أنفسهم عناء البحث عن أهداف القرآن وأسراره، بل يقفون عند حرفية ألفاظه، وينظرون إلى الآيات نظرة سطحية، وربما كانت الآية لا تنطبق على ما يقصدون إليه،

---

(١) التفسير والمفسرون للذهبى ٢/٧٠-٧١

(٢) انظر: الملل والنحل للشهرستانى ١/١٤٤.

(٣) التفسير والمفسرون للذهبى ٢/٢٢٥.

ولا تتصل بالموضوع الذى يستدلون بها عليه، لأنهم فهموا ظاهرا معطلا، وأخذوا بفهم غير مراد"[1].

الإنتاج التفسيرى للخوارج:

لم يكن للخوارج من الإنتاج التفسيرى مثل ما كان للمعتزلة، أو الشيعة أو غيرهما من فرق المسلمين، التي خلفت لنا الكثير من كتب التفسير، ومن تفاسيرهم ما يلى:

١- تفسير عبد الرحمن بن رستم الفارسى. . من أهل القرن الثالث الهجرى.

٢- تفسير هود بن محكم الهوارى. . من أهل القرن الثالث الهجرى.

٣- تفسير أبى يعقوب، يوسف بن إبراهيم الورجلانى. . من أهل القرن السادس الهجرى.

٤- داعي العمل ليوم الأمل. . للشيخ محمد بن يوسف إطفيش. . من أهل القرن الحاضر.

١- هميان الزاد إلى دار المعاد. . له أيضًا.

٢- تيسير التفسير. . له أيضًا.

هذه الكتب المذكورة، ما وجد منها وما لم يوجد، كلها للإباضية وحدهم، ولعل السر فى ذلك: أن جميع فرق الخوارج ما عدا الإباضية بادت ولم يبق لها أثر. أما الإباضية فموجودون إلى يومنا هذا، ومذهبهم منتشر فى بلاد المغرب، وحضرموت، وعمان، وزنجبار.

---

(١) المرجع السابق ٢/٢٢٩.

ويمكن إجمال أسباب قلة إنتاجهم فى التفسير إلى ما يلى:

أولا: أن الخوارج كان أكثرهم من عرب البادية، ومن قبائل تميم على الأخص، وقليل منهم كان يسكن البصرة والكوفة مع احتفاظه ببداوته، فكانوا لغلبة البداوة عليهم أبعد الناس عن التطور الدينى، والعلمى، والاجتماعى، وكانوا يمثلون الإسلام الأول فى بساطته، وعلى فطرته، بدون أن تشوبه تعاليم الأمم الأخرى. أضف إلى ذلك: احتفاظهم بأهم خصائص أهل البدو من سذاجة التفكير، وضيق التصور، والبعد عن التأثر بحضارة الأمم المجاورة لهم.

ثانيا: أنهم شغلوا بالحروب من مبدأ نشأتهم. وكانت حروبا قاسية وطويلة، ومتتابعة. أسلمتهم حروب على إلى حروب الأمويين، وأسلمتهم حروب الأمويين إلى حروب العباسيين التى تركتهم في حالة تشبه الاحتضار، وتؤذن بالفناء، فكان من الطبيعى أن لا تدع الحرب لهم من الوقت ما يتسع للبحث والتصنيف.

ثالثا: أن الخوارج – مع ما هم عليه من شذوذ – كانوا يخلصون لعقيدتهم، ويتمسكون بإيمانهم إلى حد كبير، ويرون أن الكذب جريمة من أكبر الجرائم، وبه–عند جمهورهم– يخرج الإنسان من عداد المؤمنين – فلعل هذا دعاهم إلى عدم الخوض في تفسير القرآن، وجعلهم يتورعون عن البحث وراء معانيه، مخافة أن لا يصيبوا الحق[1].

---

(١) انظر: التفسير والمفسرون للذهبى ٢/٢٣١–٢٣٤.

ومما أدخله الخوارج فى التفسير ما يلى:

نقل الذهبى – رحمه الله– من تفسير هيمان الزاد لمحمد بن يوسف أطفيش أحد مفسرى الإباضية أنه قال عند تفسير قوله تعالى:﴿ بَلَى مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾[1] يقول: {سيئة} خصلة قبيحة،وهى الذنب الكبير، سواء أكان نفاقا أو إشراكا، ومن الذنوب الكبيرة: الإصرار، فإنه نفسه كبيرة، سواء أكان على الصغيرة أو الكبيرة، والدليل على أن السيئة: الكبيرة قوله: {فأولئك أصحاب النار}. . ويحتمل وجه آخر وهو أن السيئة: الذنب صغيرا أو كبيرا، ثم يختص الكلام بالكبيرة بقوله: {وأحاطت به خطيائته}. وإن قلت روى قومنا عن ابن عباس رضى الله عنهما أن السيئة هنا الشرك. وكذا قال الشيخ هود – أحد مفسرى الإباضية– إنها الشرك. قلت: ما ذكرته أولى مما ذكراه، فإن لفظ السيئة عام، وحمله على العموم أولى، إذ ذلك تفسير منهما لا حديث، ولا سيما أنهما وقومنا يعترفون بأن الكبيرة تدخل فاعلها النار، ولم يحصروا دخولها على الشرك، ومعترفون بأن لفظ الخلود يطلق على المكث الكبير، سواء أكان أبديا، أو غير أبدى، وادعاء أن الخلود فى الموحدين بمعنى المكث الطويل، وفى الشرك بمعنى المكث الدائم، استعمال للكلمة فى حقيقتها ومجازها، وهو ضعيف، وأيضا ذكر إحاطة الخطيئات ولو ناسب الشرك كغيره، لكنه أنسب بغيره، لأن الشرك أقوى {وأحاطت به خطيائته}. ربطته ذنوبه وأوجبت له دخول النار، فصار لا خلاص له

---

(١) البقرة (٨١).

منها، كمن أحاط به العدو، أو الحرق، أو حائط السجن، وذلك بأن مات غير تائب". [1]

فى ذلك المثال يحاول أن يأخذ من القرآن ما يدل على أن مرتكب الكبيرة مخلد فى النار وليس بخارج منها، وهذا من أصول مذهبهم.

ومثال آخر حمل فيه أطفيش كل آيات العفو والمغفرة على مذهبه القائل: بأن الكبائر لا يغفرها الله إلا بالتوبة منها والرجوع عنها، ويحمل على الأشاعرة القائلين بأن الله يجوز أن يغفر لصاحب الكبيرة وإن لم يتب.

وعند تفسيره لقوله تعالى:﴿ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾[2] يقول: "ولا دليل فى الآية على جواز المغفرة لصاحب الكبيرة الميت بلا توبة منها، كما زعم غيرها، لحديث، هلك المصرون"،وعند قوله تعالى:﴿ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ يقول: "يغفر لمن يشاء الغفران له بأن يوفقه للتوبة، ويعذب من يشاء تعذيبه بأن لا يوفقه، وليس من الحكمة أن يعذب المطيع الموفى، وليس منها أن يرحم العاصى المصر، وقد انتفى الله من أن يكون ظالما، وعد من الظلم: النقص من حسنات المحسن، والزيادة فى سيئات المسىء، وليس من الجائز عليه ذلك، خلافا للأشعرية فى قولهم: يجوز أن يدخل الجنة جميع المشركين، والنار

---

(١) التفسير والمفسرون ٢/٢٣٩.

(٢) البقرة (٢٨٤).

جميع الأبرار. وقد أخطأوا فى ذلك. [1]، إلى غير ذلك من الآيات التى فسرت حسب أصول مذهبهم.

(ج) الدخيل عن طريق المعتزلة:

المعتزلة هو اسم يطلق على فرقة ظهرت في الإسلام في أوائل القرن الثاني الهجري وسلكت منهجا عقليًا متطرفًا في بحث العقائد الإسلامية[2].

والأكثرون على أن رأس المعتزلة وهو واصل بن عطاء وقد كان ممن يحضرون مجلس الحسن فثارت مسألة مرتكب الكبيرة وهي المسألة التي شغلت الأذهان في ذلك العصر، ومن هؤلاء الشهرستاني الذي يقول " دخل رجل على الحسن البصري فقال يا إمام الدين لقد ظهر في زماننا جماعة يكفرون مرتكب الكبيرة والكبيرة عندهم كفر يخرج به عن الملة وهم وعيدية الخوارج وجماعة يرجئون أصحاب الكبائر، والكبيرة عندهم لا تضر مع الإيمان بل العمل على مذهبهم ليس ركنا من الإيمان فلا يضر مع الإيمان معصية كما لا ينفع مع الكفر طاعة وهم مرجئة الأمة فكيف تحكم لنا في ذلك اعتقادا؟ فتفكر الحسن وقبل أن يجيب قال واصل: " أنا لا أقول أن صاحب الكبيرة مؤمن مطلق ولا كافر مطلق بل في منزلة بين المنزلتين ثم قام واعتزل إلى اسطوانة من اسطوانات المسجد يقرر ما أجاب به على

---

(١) انظر: التفسير والمفسرون للذهبى ٢/٢٤٠.

(٢) دراسات في الفرق والعقائد الإسلامية، د. عرفات عبد الحميد ص (٨٣).

جماعة من أصحاب الحسن فقال الحسن اعتزلنا واصل فسمي هو وأصحابه المعتزلة[١].

أما عن إنتاجهم فى التفسير:

يقول الذهبى- رحمه الله-: " صنف كثير من شيوخ المعتزلة تفاسير للقرآن الكريم على أصول مذهبهم، ولم تكن هذه التفاسير أكثر حظا من غيرها من كتب التفسير المختلفة، حيث امتدت إلى كثير منها يد الزمان، فضاعت بتقادم العهد عليها، وحرمت المكتبة الإسلامية العامة من معظم هذا التراث العلمى الذى لو بقى إلى يومنا هذا لألقى لنا ضوء واضحا على مدى التفكير التفسيرى، لشيوخ هذا المذهب الاعتزالى، ولكشف لنا عن حقيقة ما ينسب لبعض شيوخهم من تفسيرات واسعة النطاق، نسمع بها من علمائنا المتقدمين، ونقف منها موقف الحائر بين الشك واليقين، لما يذكر عنها من الاستفاضة والتضخم إلى حد يكاد يكون متخيلا أو مبالغا فيه[٢].

ومن أهم ما وصل إلينا من تفاسير المعتزلة ما يلى:

١- تنزيه القرآن عن المطاعن للقاضى عبد الجبار المتوفى سنة ٤١٥هـ.

٢- الكشاف للإمام الزمخشرى المتوفى سنة ٥٣٨هـ.

٣- أمالى الشريف المرتضى أو "غرر الفوائد ودرر القلائد"

٤- تفسير أبوعلى الجبائى المتوفى سنة ٣٠٣هـ.

---

(١) الملل والنحل للشهرستانى ٤٨/١.

(٢) التفسير والمفسرون للذهبى ٢٧٥/١.

٥- تفسير أبوالقاسم البلخى المتوفى سنة ٣١٩هـ.

٦- تفسير جامع التأويل لمحكم التنزيل لأبى مسلم الأصفهانى المتوفى سنة ٣٢٢هـ.

٧- تفسير أبوالحسن على بن عيسى الرومانى المتوفى سنة ٣٨٤هـ.

ومن الدخيل فى تفاسيرهم ما يلى:

ما ذكره الزمخشرى فى نفى الرؤية كما هو شأن المعتزلة عند تفسير قوله تعالى ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ * إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ [١].يتخلص من المعنى الظاهر لكلمة "ناظرة"،لأنه لا يتفق مع مذهبه الذى لا يقول برؤية الله تعالى، ونراه يثبت له معنى آخر هو التوقع والرجاء، ويستشهد على ذلك بالشعر العربى فيقول ما نصه: {إلى ربها ناظرة}: تنظر إلى ربها خاصة لا تنظر إلى غيره، وهذا معنى تقديم المفعول، ألا ترى إلى قوله: ﴿ إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ﴾ [٢]ومعلوم أنهم ينظرون إلى أشياء لا يحيط بها الحصر، ولا تدخل تحت العدد، وفى محشر يجتمع فيه الخلائق كلهم، فإن المؤمنين نظارة ذلك اليوم، لأنهم الآمنون الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون، فاختصاصه بنظرهم إليه لو كان منظورا إليه محال، فوجب حمله على معنى يصح معه الاختصاص. والذى يصح معه أن يكون من قول الناس: أنا إلى فلان ناظر ما يصنع بى، تريد معنى التوقع والرجاء. [٣]

---

(١) القيامة (٢٢)،(٢٣).

(٢) القيامة (١٢).

(٣) التفسير والمفسرون للذهبى ٣١٥/١، نقلا عن الكشاف للزمخشرى ١٥٣/٢.

وكذلك ما ذكره الزمخشرى فى نفى الشفاعة وهو مذهب المعتزلة عند تفسير قوله تعالى: ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَاعَةٌ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾.[1]

يقول: "﴿ أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ ﴾ أراد الإنفاق الواجب لاتصال الوعيد به من قبل أن يأتي يوم لا تقدرون فيه على تدارك ما فاتكم من الإنفاق لأنه لا بيع فيه حتى تبتاعوا ما تنفقونه ولا خلة حتى يسامحكم أخلاؤكم به. وإن أردتم أن يحط عنكم ما في ذمتكم من الواجب لم تجدوا شفيعا يشفع لكم في حط الواجبات، لأن الشفاعة ثمة في زيادة الفضل لا غير"[2]. وإلى غير ذلك من الأمثلة التى حاول المعتزلة إخضاعها لأفكارهم التى يعتقدونها بتأويل النص القرآنى تأويلا مخالفًا للصواب.

ثالثًا: الدخيل عن طريق شطحات الصوفية :

التصوف هو مناجاة القلب ومحادثة الروح، وفى هذه المناجاة طهرة لمن شاء أن يتطهر، وصفاء لمن أراد التبرؤ من الرجس والدنس، وفى تلك المحادثة عروج إلى سماء النور والملائكة، وصعود إلى عالم الفيض والإلهام، وما هذا الحديث والنجوى إلا ضرب من التأمل، والنظر، والتدبر فى ملكوت السموات والأرض. بيد أن الجسم والنفس متلازمان وتوأمان لا ينفصلان، ولا سبيل إلى تهذيب أحدهما بدون

---

(١) البقرة (٢٥٤).

(٢) الكشاف للزمخشرى ٢٩٩/١.

الآخر. فمن شاء لنفسه صفاء ورفعة فلا بد له أن يتبرأ عن الشهوات وملذات البدن. . فالتصوف إذن: فكر، وعمل، ودراسة، وسلوك".

والتصوف بهذا المعنى موجود منذ الصدر الأول للإسلام، فكثير من الصحابة كانوا معرضين عن الدنيا ومتاعها، آخذين أنفسهم بالزهد والتقشف، مبالغين فى العبادة، فكان منهم من يقوم الليل ويصوم النهار، ومنهم من يشد الحجر على بطنه تربية لنفسه وتهذيبا لروحه، غير أنهم لم يعرفوا فى زمنهم باسم الصوفية. (١)

وينقسم التفسير الصوفى إلى قسمين:

تصوف نظرى: وهو التصوف الذى يقوم على البحث والدراسة.

وتصوف عملى: وهو التصوف الذى يقوم على التقشف والزهد والتفانى فى طاعة الله. وكل من القسمين كان له أثره فى تفسير القرآن الكريم، مما جعل التفسير الصوفى ينقسم أيضا إلى قسمين: تفسير صوفى نظرى، وتفسير صوفى فيضى أو إشارى.(٢)

التفسير الصوفى النظرى:

يعتمد التفسير الصوفى النظرى على ما يقع فى ذهن الصوفى أولا من آراء مسبقة، أو نظريات جاهزة، ثم ينزل عليها النص القرآنى وفى ذلك يقول الذهبى –رحمه الله–:" إن التفسير الصوفى النظرى تفسير يخرج بالقرآن – فى الغالب – عن هدفه الذى يرمى إليه، يقصد القرآن هدفًا معينًا

---

(١) انظر: التفسير والمفسرون للذهبى ٢/٢٥٠.

(٢) المرجع السابق ١/٦٦.

بنصوصه وآياته، ويقصد الصوفى هدفًا معينًا بأبحاثه ونظرياته. وقد يكون بين الهدفين تنافر وتضاد، فيأبى الصوفى إلا أن يحول القرآن عن هدفه ومقصده، إلى ما يقصده هو ويرمى إليه، وغرضه بهذا كله: أن يروج لتصوفه على حساب القرآن، وأن يقيم نظرياته وأبحاثه على أساس من كتاب الله، وبهذا الصنيع يكون الصوفى قد خدم فلسفته التصوفية ولم يعمل للقرآن شيئا، اللهم إلا هذا التأويل الذى كله شر على الدين وإلحاد فى آيات الله "[1].

ويعتبر محيى الدين بن عربى شيخ هذه الطريقة فى التفسير، وأكثر أصحابه معالجة للقرآن على طريقة التصوف النظرى، وإن كان له من التفسير الإشارى ما يجعله فى عداد المفسرين الإشاريين إن لم يكن شيخهم أيضًا.

ويظهر جليًا تأثر ابن عربى بالنظريات الفلسفية فنراه يطبق كثيرا من الآيات القرآنية على نظرياته الصوفية الفلسفية.

فمثلا يفسر بعض الآيات بما يتفق والنظريات الفلسفية الكونية، فعند قوله تعالى فى شأن إدريس عليه السلام: ﴿ وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴾[2]

نجده يقول: "وأعلى الأمكنة المكان الذى تدور عليه رحى عالم الأفلاك، وهو فلك الشمس، وفيه مقام روحانية إدريس، وتحته سبعة أفلاك، وفوقه سبعة أفلاك، وهو الخامس عشر".

---

(١) التفسير والمفسرون للذهبى ٢/٢٥٦.

(٢) سورة مريم (٥٧).

ثم ذكر الأفلاك التى تحته، والتى فوقه، ثم قال: "وأما علو المكانة فهو لنا – أعنى المحمدين – كما قال تعالى: ﴿ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ وَٱللَّهُ مَعَكُمْ ﴾[1] فى هذا العلو، وهو يتعالى عن المكان لا عن المكانة". [2]

وتأثر أيضًا بنظرية وحدة الوجود، التى هى أهم النظريات التى بنى عليها تصوفه، فنراه فى كثير من الأحيان يشرح الآيات على وفق هذه النظرية، حتى إنه ليخرج بالآية عن مدلولها الذى أراده الله تعالى، ووحدة الوجود – عندهم – معناها أنه ليس هناك إلا وجود واحد كل العالم مظاهر ومجال له، فالله سبحانه هو الموجود الحق، وكل ما عداه ظواهر وأوهام، ولا توصف بالوجود إلا بضرب من التوسع والمجاز، وهذه النظرية سرت إلى بعض المتصوفة عن طريق الفلاسفة، وعن طريق الإسماعيلة الباطنية الذين خالطوهم وأخذوا عنهم مذهبهم القائل بحلول الإله فى أئمتهم، وصوروه – أعنى الصوفية – بصورة أخرى تتفق مع مذهب الباطنية فى الحقيقة، وإن اختلفت فى الاصطلاح والألفاظ!

هذا المذهب الذى خول لمثل الحلاج أن يقول: أنا الله، ولمثل ابن عربى أن يقول: إن عجل بنى إسرائيل أحد المظاهر التى اتخذها الله وحل فيها، والذى جره فيما بعد إلى القول بوحدة الأديان لا فرق بين سماوى

---

(١) سورة محمد (٣٥).

(٢) التفسير والمفسرون للذهبى ٢/٢٥٢.

وغير سماوى، إذ الكل يعبدون الإله الواحد المتجلى فى صورهم وصور جميع المعبودات[1].

ومن هنا يمكن القول إن مثل هذا التفسير القائم على نظرية وحدة الوجود ما كان لنا أن نقبله مهما كان قائله، كذلك ليس لنا أن نقبل التفسير الذى أسس على نظريات الفلاسفة الذين بحثوا فى الطبيعة وما وراء الطبيعة، والذى جرى عليه ابن عربى وغيره من المتصوفة فى تفسيرهم لبعض الآيات القرآنية. لا نقبله على أنه تفسير موافق لمراد الله تعالى ومقصوده الذى جاء القرآن من أجله، وإن كنا نقبله – إن صح – على أنه مما تحتمله الآية ما دام لا يعارض القرآن ولا ينافيه. على أن كل ما جاء من ذلك لا يعدو أن يكون ظنيًا، وقد يظهر خطؤه فى يوم من الأيام، فكيف نحمل عليه القرآن الكريم الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه؟.

التفسير الصوفى الإشارى:

التفسير الإشارى هو: تأويل القرآن على خلاف ظاهره، لإشارات خفية تظهر لبعض أولى العلم، أو تظهر للعارفين بالله من أرباب السلوك والمجاهدة للنفس، ممن نور الله بصائرهم فأدركوا أسرار القرآن العظيم، أو انقدحت فى أذهانهم بعض المعانى الدقيقة، بواسطة الإلهام الإلهى، أو

---

(١) المرجع السابق ٢/٢٥٦. بتصرف.

الفتح الربانى، مع إمكان الجمع بينها وبين الظاهر المراد من الآيات الكريمة. [1]

فالتفسير الإشارى هو أن يرى المفسر معنى آخر، غير معنى الظاهر تحتمله الآية الكريمة، ولكنه لا يظهر لكل إنسان وإنما يظهر لمن فتح الله قلبه، وأنار بصيرته، وسلكه فى ضمن عباده الصالحين، الذين منحهم الله الفهم والإدراك، كما قال تعالى فى قصة الخضر مع موسى عليه السلام: ﴿ فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴾[2].

وهذا النوع من العلم ليس من العلم "الكسبى" الذى ينال بالبحث والمذاكرة وإنما هو من العلم "اللدني" أى الوهبى الذى هو أثر التقى والاستقامة والصلاح،كما قال تعالى: ﴿ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾[3].

---

(١)انظر: التفسير والمفسرون للذهبى ٢٦٣/٢، ومناهل العرفان للزرقانى ٨٧/٢.

(٢) الكهف (٦٥).

(٣) البقرة (٢٨٢).

آراء العلماء فى التفسير الإشارى:

اختلف العلماء فى التفسير الإشارى، وتباينت فيه آراؤهم، فمنهم من أجازه، ومنهم من منعه، ومنهم من عدّه من كمال الإيمان، ومحض العرفان ومنهم من اعتبره زيغاً وضلالاً، وانحرافاً عن دين الله تبارك وتعالى.

والواقع أن الموضوع دقيق، يحتاج إلى بصيرة ورؤية، وغوص إلى أعماق الحقيقة، ليظهر ما إذا كان الغرض من هذا النوع من التفسير هو اتباع الهوى، والتلاعب فى آيات الله كما فعل "الباطنية" فيكون ذلك زندقة وإلحاداً، أو الغرض منه الإشارة إلى أن كلام الله تعالى، لا يحيط به بشر؛ لأنه كلام خالق القوى والقدر، وأن لكلامه تعالى مفاهيماً وأسراراً، ونكتاً ودقائق، وعجائب لا تنقضى، فيكون ذلك من محض العرفان وكمال الإيمان، كما قال ابن عباس – رضى الله عنهما – (إن القرآن ذو شجون وفنون، وظهور وبطون، لا تنقضى عجائبه، ولا تبلغ غايته، فمن أوغل فيه برفق نجا، ومن أوغل فيه بعنف هوى، أخبار وأمثال، وحلال وحرام، وناسخ ومنسوخ، ومحكم ومتشابه، وظهر وبطن، فظهره التلاوة، وبطنه التأويل، فجالسوا به العلماء، وجانبوا به السفهاء [1]

---

(١) انظر: التفسير والمفسرون للذهبى ٢٦٣/٢، ومناهل العرفان للزرقانى ٨٧/٢، وللمزيد انظر: علوم القرآن لنور الدين عتر ٩٨/١، ومباحث فى علوم القرآن لمناع القطان ص (٣٦٨)، والحديث فى علوم القرآن لمحمد أيوب ص(١٦٠)، والمنار في علوم القرآن مع مدخل في أصول التفسير ومصادره لمحمد على الحسن ص (٣٠٠).

أدلة المجيزين:

وقد استدل القائلون بجواز التفسير الإشارى بما روى عن ابن عباس – رضى الله عنهما – عند تفسير سورة (النصر) أنه قال: "كان عمر يدخلنى مع أشياخ بدر، فكأن بعضهم وجد[١] فى نفسه وقال: لم تدخل هذا معنا وإن لنا أبناء مثله؟ فقال عمر: إنه من علمتم، فدعاهم ذات يوم فأدخلنى معهم فما رأيت أنه دعانى فيهم إلا ليريهم، فقال: ما تقولون فى قوله تعالى: ﴿ إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ﴾[٢]؟ فقال بعضهم: أمرنا أن نحمد الله ونستغفره إذا نصرنا وفتح علينا، وسكت بعضهم ولم يقل شيئاً، فقال لى: أكذلك تقول يا ابن عباس؟ فقلت: لا، فقال: ما تقول؟ قلت: هو أجل رسول الله –صلى الله عليه وسلم – أعلمه الله له، قال: "إذا جاء نصر الله والفتح" فذلك علامة أجلك﴿ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًا ﴾[٣] فقال عمر: لا أعلم منها إلا ما تقول[٤].

فبعض الصحابة لم يفهم من السورة أكثر من معناها الظاهر، أما ابن عباس وعمر – رضي الله عنهم– فقد فهما معنى آخر وراء الظاهر هو المعنى الباطن الذي تدل عليه السورة بطريق الإشارة.

---

(١) (وجد في نفسه) حزن وغضب أو عتب.

(٢) سورة النصر (١).

(٣) سورة النصر (٣).

(٤) صحيح البخارى، كتاب التفسير – باب قوله "فسبح بحمد ربك. . . " ١٩٠١/٤ ح (٤٦٨٦).

وفى هذا يقول الذهبى – رحمه الله –: " هذا الفهم من ابن عباس لم يفهمه بقية الصحابة، وإنما فهمه عمر وفهمه ابن عباس، وهو من (التفسير الإشارى) الذى يلهمه الله من شاء من خلقه، ويطلع عليه بعض عباده، فالسورة الكريمة فيها (إشارة) للنبى – صلى الله عليه وسلم – إلى دنو أجله. ومثل هذا ما ورد فى الحديث الشريف أن النبى – صلى الله عليه وسلم – خطب الناس يوماً، فقال فى جملة خطبته: "إن الله خير عبداً بين الدنيا، وبين ما عنده فاختار ما عنده" فبكى أبو بكر – وفى رواية: فقال فديناك يا رسول الله بآبائنا وأمهاتنا – فعجبنا له يبكى، فلما قبض رسول – صلى الله عليه وسلم – علمنا أنه كان هو المخير، وكان أبو بكر أعلمنا. فأبو بكر الصديق فهم (بطريق الإشارة) ما لم يفهمه عامة الصحابة، وكان الأمر كما قال. [1]

وهاك عرض لأقوال العلماء فى التفسير الإشارى بإيجاز:

ذكر السيوطى –رحمه الله – قول تاج الدين بن عطاء الله: "اعلم أن التفسير من هذه الطائفة (يعنى التفسير الإشارى) لكلام الله وكلام رسوله بالمعانى العربية، ليس إحالة للظاهر عن ظاهره، ولكن ظاهر الآية مفهوم منه ما جاءت الآية له، ودلت عليه فى عرف اللسان، ولهم أفهام باطنة تفهم عند الآية والحديث، لمن فتح الله قلبه، فلا يصدنك عن تلقى هذه المعانى منهم، أن يقول لك ذو جدل ومعارضة هذا إحالة لكلام الله وكلام رسوله – صلى الله عليه وسلم – فليس ذلك بإحالة، وإنما يكون حاله لو

---

(١) التفسير والمفسرون للذهبى ٢/٢٦٣.

قالوا: لا معنى للآية إلا هذا، وهم لم يقولوا ذلك، بل يقررون الظواهر على ظواهرها، مراداً بها موضوعاتها، ويفهمون عن الله ما أفهمهم"[1].

هنا وضع الشيخ الحق فى نصابه، وجمع بين النصوص الظاهرة، والمعانى الخفية الواردة، التى تشرق على قلب المؤمن العارف بالله، كما كان الحال مع الصديق وعمر، ولا عجب فالله يعطى الحكمة من يشاء، ويضع الفهم فيمن أراد، وهذا هو القرآن الكريم يخبرنا عن (داود وسليمان) فى أمر عرض عليهما فحكم كل واحد منهما بحكم يخالف الآخر فيقول: ﴿ فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَۚ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًاۚ وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُۥدَ ٱلْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَٱلطَّيْرَۚ وَكُنَّا فَٰعِلِينَ ﴾[2]"

ويقول الشيخ الزرقانى – رحمه الله –: "ولعلك تلاحظ معى أن بعض الناس قد فتنوا بالإقبال على دراسة تلك الإشارات والخواطر، فدخل فى روعهم أن الكتاب والسنة، بل والإسلام كله ما هى إلا سوانح وواردات، على هذا النحو من التأويلات والتوجيهات وزعموا أن الأمر ما هو إلا تخييلات، وأن المطلوب منهم هو الشطح مع الخيال أينما شطح، فلم يتقيدوا بتكاليف الشريعة، ولم يحترموا قوانين اللغة العربية، فى فهم أبلغ النصوص العربية، كتاب الله وسنة رسوله.

---

(١) الإتقان فى علوم القرآن للسيوطى ٢٢٧/٤.

(٢) الأنبياء (٧٩).

والأدهى من ذلك أنهم يخيلون للناس،أنهم هم أهل الحقيقة الذين أدركوا الغاية، واتصلوا بالله اتصالاً أسقط عنهم التكليف، وسما بهم عن حضيض الأخذ بالأسباب، ما داموا فى زعمهم مع رب الأرباب، وهذا – لعمر الله – هو المصاب العظيم، الذى عمل له الباطنية كيما يهدموا التشريع من أصوله، ويأتوا ببنيانه من قواعده.

فواجب النصح لإخواننا المسلمين يقتضينا أن نحذرهم الوقوع فى هذه الشباك، ونشير عليهم أن ينفضوا أيديهم من أمثال تلك التفاسير الإشارية الملتوية،لأنها كلها أذواق ومواجيد خارجة عن حدود الضبط والتقييد، وكثيراً ما يختلط فيها الخيال بالحقيقة، والحق بالباطل، فالأحرى بالفطن العاقل أن ينأى بنفسه عن هذه المزالق، وأن يفر بدينه من هذه الشبهات"[1].

كلمة حجة الإسلام الغزالى:

يقول حجة الإسلام الغزالى –رحمه الله – فى كتابه (إحياء علوم الدين) فى فصل الذكر والتذكير ما نصه: "وأما الشطح فنعنى به صنفين من الكلام أحدثهما بعض الصوفية:

أحدهما: الدعاوى الطويلة العريضة فى العشق مع الله تعالى،والوصال المغنى عن الأعمال الظاهرة، حتى ينتهى قوم إلى دعوى الاتحاد، وارتفاع الحجاب، والمشاهدة بالرؤية، والمشافهة بالخطاب، فيقولون: قيل لنا كذا وقلنا كذا، ويتشبهون فيه بالحسين (الحلاج) الذى صلب لأجل إطلاقه

(١) مناهل العرفان للزرقانى ٢/٨٧–٩٠.

كلمات من هذا الجنس، ويستشهدون بقوله: "أنا الحق" وهذا فن من الكلام عظيم ضرره على العوام.

الثانى: كلمات غير مفهومة، لها ظواهر رائقة، وفيها عبارات هائلة وليس وراءها طائل، ولا فائدة لهذا الجنس من الكلام إلا أنه يشوش القلوب ويدهش العقول ويحير الأذهان، وقد قال ابن مسعود – رضى الله عنه – "ما حدث أحد قوماً بحديث لا يفقهونه إلا كان فتنة عليهم"، وقال على – رضى الله عنه – "كلموا الناس بما يعرفون أتريدون أن يكذب الله ورسوله"[1].

أمثلة على التأويل الإشارى الفاسد:

ثم ذكر الغزالى –رحمه الله – أمثلة للتفسير الإشارى الفاسد حيث يقول: "وأما الطاعات فيدخلها ما ذكرناه من الشطح،وأمر آخر يخصها وهو: صرف ألفاظ الشرع عن ظواهرها المفهومة، إلى أمور باطنة لا يسبق منها إلى الأفهام فائدة فهذا أيضاً حرام وضرره عظيم ومن أمثلة تأويل أهل الطامات، قول بعضهم فى تأويل قوله تعالى: ﴿ ٱذۡهَبۡ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ﴾[2] إنه إشارة إلى قلبه، وقال هو المراد بفرعون، وهو الطاغى على

(١) إحياء علوم الدين للغزالى ١/٣٦.

(٢) طه (٢٤).

كل إنسان، وفى قوله تعالى:﴿ وَأَنۡ أَلۡقِ عَصَاكَ﴾[1] أى كل ما يتوكأ عليه ويعتمده مما سوى الله عز وجل فينبغى أن يلقيه.

وفى قوله – صلى الله عليه وسلم –: "تسحروا فإن فى السحور بركة"[2]، فسروا السحور بأنه الاستغفار فى الأسحار وأمثال ذلك حتى ليحرفون القرآن من أوله إلى آخره عن ظاهره وعن تفسيره المنقول عن ابن عباس وسائر العلماء، وبعض هذه التأويلات يعلم بطلانها قطعاً، كتنزيل فرعون على القلب، فإن فرعون شخص محسوس تواتر إلينا النقل بوجوده، وبعضها يعلم بطلانه بغالب الظن، وكلّ ذلك حرام وضلالة، وإفساد للدين على الخلق. [3]

أهم كتب التفسير الإشارى:

١ – تفسير التسترى:

لأبى محمد سهل بن عبدالله التسترى المتوفى سنة (٢٨٣هـ)، وتفسيره هذا لم يستوعب كل الآيات، وإن استوعب السور، وقد سلك فيه مسلك الصوفية مع موافقته لأهل الظاهر. وإليك نموذجاً منه إذ يقول فى تفسير البسملة ما نصه: (الباء) بهاء الله عز وجل. (والسين) سناء الله عز وجل. (والميم) مجد الله عز وجل. (والله) هو الاسم الأعظم الذى حوى الأسماء كلها. وبين الألف واللام منه حرف مكنى غيب إلى غيب، وسر من سر إلى

---

(١) القصص (٣١).

(٢) صحيح البخارى –كتاب الصيام –باب بركة السحور ٦٧٨/٢، ح(١٨٢٣).

(٣) أحياء علوم الدين ٣٧/١.

سر، وحقيقة من حقيقة إلى حقيقة. لا ينال فهمه إلا الطاهر من الأدناس، الآخذ من الحلال قواماً ضرورة الإيمان.

(والرحمن) اسم فيه خاصة من الحرف المكنى بين الألف واللام. (والرحيم) هو العاطف على عباده بالرزق فى الفرع، والابتداء فى الأصل، رحمة لسابق علمه القديم. قال أبو بكر: أى بنسيم روح الله اخترع من ملكه ما شاء رحمة لأنه رحيم وقال على بن أبى طالب – رضى الله عنه – الرحمن الرحيم. اسمان رقيقان أحدهما أرق من الآخر. فنفى الله بهما القنوط عن المؤمنين من عباده.

٢- حقائق التفسير (للسلمى):

لأبى عبد الرحمن، محمد بن الحسين بن موسى، الأزدى السلمى، المولود سنة (٣٣٠هـ).

يقول عند تفسير قوله تعالى: ﴿ وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ ٱقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ أَوِ ٱخْرُجُواْ مِن دِيَٰرِكُم مَّا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِّنْهُمْ ۖ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُواْ مَا يُوعَظُونَ بِهِۦ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا ﴾[1]"قال محمد بن الفضل: {اقتلوا أنفسكم} بمخالفة هواها، {أو اخرجوا من دياركم} أى أخرجوا حب الدنيا من قلوبكم {ما فعلوه إلا قليل منهم} فى العدد، كثير فى المعانى، وهم أهل التوفيق والولايات الصادقة". [2]

---

(١) النساء (٦٦).

(٢) التفسير والمفسرون للذهبى ٢٨٧/٢، نقلا عن تفسير السلمى.

٣- عرائس البيان فى حقائق القرآن (لأبى محمد الشيرازى)

مؤلف هذا التفسير هو أبو محمد روزبهان بن أبى النصر، البقلى، الشيرازى الصوفى، المتوفى سنة ٦٦٦ هـ.

يقول عند تفسير قوله تعالى: ﴿ لَّيْسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ وَلَا عَلَى ٱلْمَرْضَىٰ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُواْ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ مَا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾[١]

"وصف الله زمرة أهل المراقبات، ومجالس المحاضرات، والهائمين فى المشاهدات. والمستغرقين فى بحار الأزليات، الذين أنحلوا جسومهم بالمجاهدات، وأمرضوا نفوسهم بالرياضات، وأذابوا قلوبهم بدوام الذكر، وجولانها فى الفكر، وخرجوا بعقائدهم الصافية، عن الدنيا الفانية بمشاهدته الباقية، بأن رفع عنهم بفضله حرج الامتحان، وأبقاهم فى مجلس الأنس ورياض الإيقان، ويقول: {ليس على الضعفاء} يعنى الذين أضعفهم حمل أوقار المحبة، {ولا على المرضى} الذين أمرضهم مرارة الصبابات، {ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون} الذين يتجردون عن الأكوان بتجريد التوحيد وحقائق التفريد، {حرج}: عتاب من جهة العبودية والمجاهدة، لأنهم مقتولون بسيف المحبة، مطروحون بباب الوصلة، ضعفهم من الشوق، ومرضهم من الحب، وفقرهم من حسن الرضا". [٢]

---

(١) التوبة (٩١).

(٢) التفسير والمفسرون للذهبى ٢/٢٨٩، نقلا عن تفسير الشيرازى.

٤- التأويلات النجمية (لنجم الدين داية، وعلاء الدولة السمنانى)

ألف هذا التفسير نجم الدين داية المتوفى سنة (٦٥٤هـ)، ومات قبل أن يتمه، فأكمله من بعده علاء الدولة السمنانى المتوفى سنة سنة (٧٣٦ هـ).

عند تفسير قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي ٱلْمَدِينَةِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ تُرَٰوِدُ فَتَىٰهَا عَن نَّفْسِهِۦ ۖ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا ۖ إِنَّا لَنَرَىٰهَا فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ * فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَـًٔا وَءَاتَتْ كُلَّ وَٰحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ ٱخْرُجْ عَلَيْهِنَّ ۖ فَلَمَّا رَأَيْنَهُۥٓ أَكْبَرْنَهُۥ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴾[١]

يقول نجم الدين داية: "يشير بالنسوة إلى صفات البشرية النفسانية من البهيمية، والسبعية، والشيطانية فى مدينة الجسد، {امرأة العزيز} وهى الدنيا، {تراود فتاها عن نفسه} تطالب عبدها وهو القلب. كان عبدا فى البداية لحاجته إليها للتربية. قلما كمل القلب وصفا عن دنس البشرية استأهل المنظر الإلهى، فتجلى له الرب تبارك وتعالى فتنور القلب بنور جماله وجلاله، فاحتاج إليه كل شىء، وسجد له حتى الدنيا، {قد شغفها حبا} أى أحبته الدنيا غاية الحب، لما ترى عليه آثار جمال الحق[٢].

---

(١) سورة يوسف (٣٠)، (٣١).

(٢) التفسير والمفسرون للذهبى ٢٩٣/٢، نقلا عن تفسير التأويلات النجمية.

ويقول السمنانى عند تفسير قوله تعالى: ﴿ كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَىٰهَآ * إِذِ ٱنۢبَعَثَ أَشْقَىٰهَا ﴾[1]يعنى إذ انبعثت اللطيفة، وأسرعت إلى الطاغية انبعث أشقى قوى النفس على إثر اللطيفة الصالحة، ليعقر ناقة شوقها، {فقال لهم رسول الله} أى اللطيفة، {ناقة الله وسقياها} أى احذروا عقر ناقة الشوق وشربها من عين الذكر، {فكذبوه فعقروها} بتكذيبهم صالح اللطيفة النفسية، وعقروا ناقة الشوق، {فدمدم عليهم ربهم بذنبهم}، أى أهلكهم الله، {فسواها} أى عمهم بذلك العذاب، {ولا يخاف عقباها} ولا يخاف القوى العاقرة فى عقر ناقة الشوق عاقبة الأمر، فأهلكهم بطغيانهم لرسوله وتكذيبهم إياه". [2]

والتفسير الإشارى لا يكون مقبولاً إلا إذا توفرت فيه الشروط الآتية:

لما كان التفسير الإشاري إثارة لمعاني كتاب الله تعالى، كان لا بد له من معيار ينضبط به، حتى يتميز عن عبث المتلاعبين بالقرآن تحت ستار اسم باطن القرآن، وهم لا يفسرون القرآن على الحقيقة بل يتلاعبون لهدم الشريعة باسم الشريعة.

أولاً: عدم التنافى مع المعنى الظاهر فى النظم الكريم.

ثانياً: عدم ادعاء أنه المراد وحده دون الظاهر.

---

(١) الشمس (١١)، (١٢).

(٢)التفسير والمفسرون للذهبى ٢/٢٩٥ن نقلا عن تفسير التأويلات النجمية.

ثالثاً: ألا يكون التأويل بعيداً سخيفاً لا يحتمله اللفظ، كتفسير الباطنية قوله تعالى:﴿ وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ﴾[1] أى أن الإمام علياً ورث النبى فى علمه.

رابعاً: ألا يكون له معارض شرعى أو عقلى.

خامسًا: أن يكون له شاهد شرعي يؤيده، وذلك لأنه إن لم يكن للتفسير الإشاري شاهد في محل آخر، أو كان له شاهد لكن له معارض صار دعوى تدّعى على القرآن من غير دليل. والدعوى التي لا دليل عليها مرفوضة باتفاق العلماء. [2]

وبدون هذه الشروط لا يقبل التفسير الإشارى، ويكون عند ذلك من قبيل التفسير بالهوى والرأى المنهى عنه والله الموفق والهادى إلى سواء السبيل.

ومما تقدم يتبين لنا أن التفسير الإشارى له ما يؤيده من الشرع، ولكنه قد دخلت عليه بعض التأويلات الفاسدة، وسلك فيه بعض الناس مسلك الباطنية ولم يراعوا الشروط التى وضعها العلماء، واخذوا يخبطون فيه خبط عشواء، بل أصبح كل من هب ودب، يتطاول على كتاب الله تعالى، فيتأوله حسب ما يمليه عليه الهوى، أو يوسوس له به الشيطان، ويزعم أنه من التفسير الإشارى مع أنه سفاهة وضلالة وجهالة، لأنه تحريف لكتاب الله، وسلوك لمسلك الباطنية الملاحدة وهو إن لم يكن

---

(١) النمل (١٦).

(٢) انظر: التفسير والمفسرون للذهبى ٢/٢٨٠، ومناهل العرفان للزرقانى ٢/٨١، والموافقات للشاطبي ٣/٣٩٤.

تحريفاً لألفاظه فإنه تحريف لمعانيه. . . فلا ينبغى لعلماء المسلمين أن يسمحوا لأمثال هؤلاء، بالتطاول على كتاب الله، وبتفسيره بما يخالف الظاهر، ويجافى الحق والصواب، زعماً منهم أنه من نوع (التفسير الإشارى) فالتفسير له حدود وشروط، وليس كل إنسان يقول فيه برأيه، أو يعبث فى نصوصه بفهمه العليل.

رابعًا: الدخيل عن طريق التأويلات الفاسدة للتفسير العلمى

تتعدد الآراء حول تعريف التفسير العلمي للقرآن الكريم، ومن بين تلك التعريفات ما يلى:

أولاً: عرفه الذهبي بأنه: "التفسير الذي يحكم الاصطلاحات العلمية في عبارات القرآن، ويجتهد في استخراج مختلف العلوم والآراء الفلسفية منها"(١).

ثانياً: وعرفه الشيخ عبدالمجيد الزنداني بأنه: "عبارة عن انتفاع المفسر بما ظهر في عصر من معلومات كونية في تفسير النصوص"(٢).

ثالثاً: وعرفه الدكتور زغلول النجار بأنه: "يقصد به توظيف كل المعارف المتاحة لحسن فهم دلالة الآية القرآنية، وهذه المعارف قد تكون حقائق وقوانين، كما تكون فروضاً ونظريات، ونحن ندعو إلى توظيف الحقائق والقوانين كلما توفرت فإن لم تتوفر فلا أرى حرجاً من توظيف النظريات؛ لأن التفسير يبقى محاولة بشرية لحسن الفهم إن أصاب فيها المفسر فله أجران وإن أخطأ فله أجر واحد ولا ينسحب خطؤه على جلال القرآن الكريم"(٣).

---

(١) التفسير والمفسرون للذهبى ٤٥٤/٢ ص٤٥٤.

(٢) تأصيل الإعجاز العلمي في القرآن والسنة – الشيخ عبدالمجيد الزنداني – بحث بعنوان المعجزة العلمية في القرآن والسنة – رابطة العالم الإسلامي – ص٣٥.

(٣) من آيات الإعجاز العلمي في القرآن الكريم – د. / زغلول النجار ٣٥/١.

التعريف الأول استخدم فيه صاحبه العبارات الفضفاضة التي تجعل من ألفاظ القرآن الكريم مجالاً واسعاً يستخرج منه مختلف العلوم والآراء الفلسفية، هكذا من دون شروط أو ضوابط.

والتعريف الثاني يحمل ألفاظاً مبسطة وإن كانت تحمل المعنى نفسه للتعريف السابق مع اختلاف في الأسلوب، فهو يتحدث عن انتفاع المفسر للقرآن بما ظهر في عصره من معلومات كونية تعينه على فهم النصوص فهماً علمياً.

أما التعريف الثالث ففيه تفصيل، ويدعو فيه صاحبه إلى الأخذ بالحقائق كلما توفرت، فإن لم تتوفر فلا يرى حرجاً من الأخذ بالنظريات، فالتفسير جهد بشري، إن أصاب صاحبه فله أجران وإن أخطأ فله أجر واحد.

ولعل الأقرب أن يقال في تعريف التفسير العلمي: هو الكشف عن تفاصيل معاني الآية في ضوء ما ثبتت صحته من نظريات العلوم الكونية التجريبية.

الفرق بين التفسير العلمي والإعجاز العلمي:

أما الإعجاز العلمي فهو: يعني تأكيد الكشوف العلمية الحديثة الثابتة والمستقرة للحقائق الواردة في القرآن الكريم والسنة المطهرة بأدلة تفيد القطع واليقين باتفاق المتخصصين [1]، وثبت عدم إمكانية إدراكها بالوسائل البشرية في زمن الرسول –صلى الله عليه وسلم–[1].

---

(١) التوصيات الصادر عن المؤتمر العالمي الأول للإعجاز العلمي في القرآن والسنة، ضمن كتيب تأصيل الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، أبحاث المؤتمر العلمي الأول للإعجاز

ومن خلال التعريف يتضح أن الفرق بينهما: أن التفسير العلمي كشف عن معاني الآية أو تفاصيلها،أما الإعجاز العلمي فهو إخبار القرآن الكريم أو السنة النبوية بحقيقة علمية أثبتها العلم أخيراً،وثبت عدم إمكانية إدراكها بالوسائل البشرية في زمن الرسول –صلى الله عليه وسلم–.

موقف العلماء من التفسير العلمي للآيات الكونية في القرآن والسنة:

بعد ثورة المكتشفات العلمية في الغرب في جو معاد للدين منفلت منه، وما أوحت به هذه الحال إلى بعض أبناء المسلمين من أن دينهم هو سبب تخلفهم انتدب طائفة من العلماء لإبطال هذا الأمر المزيف، والتأكيد على أن الإسلام دين العلم ومن ذلك العلم التجريبي، وفي سبيل إثبات ذلك تكلموا في التفسير العلمي للقرآن، وأن كثيراً من المكتشفات العلمية الحديثة مضمنة في الكتاب والسنة.

واعتبروا ذلك فتحاً جديداً يساهم في خدمة تفسير القرآن، ودليلاً من أدلة إعجاز القرآن الكريم يخدم نشر الدعوة الإسلامية.

وقابلتهم طائفة أخرى ترى أن التفسير العلمي للقرآن الكريم غير صحيح في منهجه، وضار بالدعوة الإسلامية، وينحرف بالقرآن عن غايته ويندفع به إلى مجالات لا تحمد عقباها. [٢]

العلمي في القرآن والسنة، رابطة العالم الإسلامي، هيئة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، ص(١١٠).

(١)انظر: المعجزة العلمية في القرآن والسنة: ١٧ – ١٨، ٣٣، والآيات الكونية في ضوء العلم الحديث: ١٣.

(٢) انظر: التفسير والمفسرون: ٢/ ٥٦٧، والآيات الكونية في ضوء العلم الحديث: ٣٧،

وبناء على ذلك اختلفوا في التفسير العلمي للآيات الكونية في القرآن والسنة على قولين:

القول الأول: المنع[1]

ومن أدلتهم:

الدليل الأول: أن القرآن الكريم كتاب هداية، وأن الله لم ينزله ليكون كتاباً يتحدث فيه إلى الناس عن نظريات العلوم، ودقائق الفنون، وأنواع المعارف، وإنما القرآن في تناوله لتلك الحقائق العلمية يهدف إلى ما هو أعظم من ذلك بكثير، وهو هداية ودلالة الخلق للإيمان بالله -عز وجل-

---

وخلاصة بحث التفسير العلمي للقرآن الكريم بين المجيزين والمانعين لمحمد الأمين ولد الشيخ، ضمن كتيب تأصيل الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، أبحاث المؤتمر العلمي الأول للإعجاز العلمي في القرآن والسنة، رابطة العالم الإسلامي، هيئة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة: ١٠١.

(١)انظر: الموافقات: ٢/ ١٠١، ومقال لمفتي مصر السابق محمود شلتوت ضمن مجلة الرسالة – القاهرة، العدد (٤٠٧)، (٤٠٨) من السنة التاسعة، إبريل سنة ١٩٤١، بواسطة كتاب التفسير العلمي للقرآن في الميزان، والتفسير: نشأته- تدرجه-تطوره: ٥٤، وفتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء، جمع وترتيب: أحمد الدويش، الرئاسة العامة للبحوث العلمية والإفتاء، الرياض، ط٣: ٤/ ١٨٠، وكتاب العلم للشيخ محمد بن صالح ابن عثيمين، إعداد: فهد السليمان، دار الثريا، الرياض، ط١: ١٥٧، واتجاهات التفسير في العصر الراهن: ٣٠٢ – ٣١٣، واتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر: ٢/ ٥٧٨ – ٥٩٨، وحكم تفسير القرآن بنظريات علمية حديثة للشيخ صالح بن فوزان الفوزان، مقال ضمن مجلة الدعوة، العدد (١٤٤٧)، محرم ١٤٢١: ٢٣، وخلاصة بحث التفسير العلمي للقرآن الكريم بين المجيزين والمانعين: ١٠٣ – ١٠٤، والتفسير العلمي للقرآن في الميزان: ١١٣، ٢٦٩.

وعبادته وحده لا شريك له [١]، قال تعالى: ﴿طسٓۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡقُرۡءَانِ وَكِتَابٖ مُّبِينٖ *هُدٗى وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾[٢]

الدليل الثاني: أن القرآن في أعلى درجات البلاغة، فإذا قلنا بأن القرآن متضمن لكل العلوم، وألفاظه محتملة لهذه المعاني المستحدّثة، للزم أن من أنزل عليهم القرآن يجهلون هذه المعاني.

وإن قيل: إنهم كانوا يعرفونها. قيل: فلِمَ لم يتكلموا بها وتظهر نهضتهم من لدن نزول القرآن الذي حوى علوم الأولين والآخرين؟ ولِمَ لم تقم نهضتهم على هذه الآيات الشارحة لمختلف العلوم وسائر الفنون؟.

الدليل الثالث: أن التفسير العلمي للقرآن والسنة يعرضهما للدوران مع مسائل العلوم في كل زمان ومكان، والعلوم لا تعرف الثبات ولا القرار ولا الرأي الآخر، وقد اعترف علماء المادة في هذا القرن: "بأن العلوم المادية لا تعطى إلا علما جزئيا عن الحقائق"[٣]، بينما القرآن هو تلك الحقائق الإلهية العلوية، القارة، الثابتة، المنزلة من عند الله الذي وسع علمه كل شيء.

الدليل الرابع: قالوا: أن المعرفة لمعاني كتاب الله إنما تؤخذ من هذين الطريقين: من أهل التفسير الموثوق بهم من السلف،ومن اللغة التي نزل القرآن بها وهي لغة العرب[٤].

---

(١) انظر: الموافقات: ٢/ ١١٢، ١٢٧، مناهل العرفان في علوم القرآن: ٢/ ٢٧٥.

(٢) النمل (١)، (٢).

(٣) الإسلام يتحدى لوحيد الدين خان ص(٢٣).

(٤) الصواعق الشديدة على أتباع الهيئة الجديدة ص(٣٨).

الدليل الخامس: قالوا في جوابهم عن الاستدلال بقوله تعالى﴿ مَّا فَرَّطۡنَا فِي ٱلۡكِتَٰبِ مِن شَيۡءٖ ﴾[1] وأنه يشمل جميع العلوم: أن المراد بالكتاب في الآية: اللَّوح المحفوظ، ولم يذكر المفسرون في معناها ما يقتضى تضمنه لجميع العلوم النقلية والعقلية[2].

الدليل السادس: أن التفسير العلمي للقرآن يحمل أصحابه والمغرمين به على التأويل المتكلف، واللهث وراء الفروض والنظريات التي لا تثبت ولا تستقر، ثم يؤدي ذلك في الوقت القريب أو البعيد إلى صراع بين العلم والدين.

الدليل السابع: قالوا: أنه ينبغي الاستفادة من النظريات العلمية دون إقحامها على القرآن الكريم أو اعتبار أن القرآن مطالب بموافقتها كلما تغيرت من زمن إلى زمن ومن تفكير إلى تفكير[3].

---

(١) الأنعام (٣٨).

(٢) انظر: جامع البيان للطبري ٧/ ٢١٩، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٦/ ٤٢٠، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير ٢/ ١٣٥.

(٣) انظر: مناهل العرفان في علوم القرآن ٢/ ٢٧٥، والفلسفة القرآنية لعباس محمود العقاد ص (١٠)

القول الثاني: الجواز[1]

ومن أدلتهم:

الدليل الأول: قوله تعالى: ﴿ مَّا فَرَّطۡنَا فِي ٱلۡكِتَٰبِ مِن شَيۡءٖ ﴾[2]، وهذه العلوم داخلة في عموم الآية.

الدليل الثاني: جاء في الحديث الصحيح أن النبي –صلى الله عليه وسلم– سئل عن الحمر الأهلية – عن صدقتها– فقال: "ما أنزل علي فيها شيء إلا هذه الآية الجامعة الفاذة: ﴿ فَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٍ خَيۡرٗا يَرَهُۥ * وَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ شَرّٗا يَرَهُۥ ﴾[3] "[4]،وقالوا: هذا نص يشهد أن كل ما دخل تحت نص قرآني عام يعتبر قد نص عليه القرآن[5].

---

(١)انظر: جواهر القرآن للغزالي ص (١٢)، وإحياء علوم الدين ١/ ٣٦٩، ومفاتيح الغيب للرازى٤/ ٢٣٨، والجواهر في تفسير القرآن الكريم لطنطاوي جوهري١/ ٢ – ٣، واتجاهات التفسير في العصر الراهن ص (٢٦٤)، واتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر ٢/ ٥٥١– ٥٧٧، والتفسير العلمي للقرآن في الميزان (١٠٣– ١٦٣).

(٢) الأنعام (٣٨).

(٣) الزلزلة (٧)، (٨).

(٤) صحيح البخاري، كتاب المساقاة– باب شرب الناس والدواب من الأنهار، ح (٢٣١٧).

(٥) الإسلام في عصر العلم لمحمد فريد وجدي ص(٣٦٩).

الدليل الثالث: واستدلوا أيضاً ببعض الآثار الواردة عن السلف مثل قول عبد الله بن مسعود –رضي الله عنه–: "من أراد علم الأولين والآخرين فليثور[١] القرآن"[٢].

الدليل الرابع: واستدلوا كذلك بأن القرآن هو حجة الله البالغة على عباده أجمعين، وهذه الحجة قائمة إلى يوم الدين، والإعجاز العلمي والتفسير العلمي في هذه الحجة يعجز الملحدون عن أن يجدوا فيه موضعا للتشكيك لأنه دليل عقلي محسوس.

الدليل الخامس: قالوا: إن القرآن الكريم يحتوي على كثير من الآيات الكونية، ويتوقف على فهمها في ضوء الحقائق العلمية تيسير الدعوة إلى دين الله في هذا العصر، عصر العلم[٣].

وقد وضع المجيزون لهذا النوع من التفسير بعض الضوابط والحدود، –وإن كان بعضهم لم يلتزم بها–، منها [٤]:

١ – ضرورة التقيد بما تدل عليه اللغة العربية.

٢ – البعد عن التأويل في بيان إعجاز القرآن.

---

(١) تثوير القرآن: قراءته ومفاتشة العلماء به في تفسيره ومعانيه. انظر: تهذيب اللغة ١٥/ ٨٠.

(٢)

(٣) انظر: الإسلام في عصر العلم ص (٢٢٢).

(٤) انظر: خلاصة بحث التفسير العلمي للقرآن الكريم بين المجيزين والمانعين ص(١٠٢ – ١٠٣).

٣ – أن لا تُجعل حقائق القرآن موضع نظر، بل تجعل هي الأصل: فما وافقها قبل، وما عارضها رفض.

٤ – أن لا يفسر القرآن إلا باليقين الثابت من العلم، لا بالفروض والنظريات.

الترجيح[١]:

بالتأمل في القولين السابقين يتضح أن القائلين به من أهل الإسلام لا يريدون شيئاً إلا أن يثبتوا للعالم أجمع أن القرآن من عند الله، وأن منزله هو خالق الكون الذي وسع علمه كل شيء، وقد ضمنه هذه الحقائق العلمية، وأنهم بقدر ما يفعلون من ذلك يضيفون إلى أمجاد القرآن أمجاداً، وإلى براهين صدقه شيئاً جديداً.

والمعارضون له يقولون: إن المقررات العلمية تكون عرضة للتبديل والتغيير، وهم لا يريدون أن يربطوا القرآن وتفسيره بعجلة المتغير، وكفى القرآن شرفاً ومجداً أنه حث على العلم والبحث والنظر ولم يقف حجرة عثرة في سبيل التقدم العلمي والفكري[٢].

---

(١) انظر: اتجاهات التفسير في القرآن الرابع عشر: ٢/ ٦٠١ – ٦٠٢، والمعجزة القرآنية – الإعجاز العلمي والغيبي لمحمد حسن هيتو ص(١٥٣)، ولمحات في علوم القرآن واتجاهات التفسير ص (٢٩٩)، وخلاصة بحث التفسير العلمي للقرآن الكريم بين المجيزين والمانعين ص (١٠٦)، والتفسير العلمي للقرآن في الميزان ص(٢١٣).

(٢) انظر: مناهل العرفان في علوم القرآن ١/ ٢٥، والفلسفة القرآنية ص(١٨).

ولـيعلم المسـلمون أن كتـاب الله غنـي فـي إثبـات صـدقه عـن العلـوم الطبيعية التجريبية، لما فيه من النور والهدى، والشرائع الكاملة، والفصاحة البالغة، وغيرها من أوجه الإعجاز التي عدها العلماء[١].

وليس باللازم أن كل حقيقة علمية أو كل معلومة علمية تجد لها في القرآن أصلاً؛ لأن القرآن لم يوضع لهذا.

وعلى هذا يمكن أن يقال: أن التفسير العلمي للقرآن مرفوض إذا اعتمد على النظريات العلمية التي لم تثبت ولم تستقر ولم تصل إلى درجة الحقيقة العلمية.

ومرفوض إذا خرج بالقرآن عن لغته العربية.

ومرفوض إذا صدر عن خلفية تعتمد العلم أصلاً وتجعل القرآن تبعاً.

ومرفوض إذا خالف ما دل عليه القرآن في موضع آخر أو دلت عليه السنة الصحيحة[٢].

وهو مقبول بشرط[٣]. أن يدل نص الكتاب أو السنة على الحقيقة العلمية بطريق من طرق الدلالة الشرعية، وأن لا يخالف أصلاً في الشرع، وأن لا يتذرع به لنصرة بدعة.

وأن يكون هذا التفسير وفقًا لقواعد اللغة العربية ومقاصد الشارع وأصول التفسير ،وأن لا يخرج عن أقوال السلف، ولا يضادها، مع عدم الجزم بهذا

---

(١) انظر: التفسير والمفسرون ٢/ ٤٩٣، ومناهل العرفان في علوم القرآن٢/ ٢٧٥ – ٢٧٦.

(٢) انظر: تفسير القرآن لمحمود شلتوت ص (١١ – ١٤).

(٣) انظر: التبيان في أقسام القرآن ١/ ١٦٨.

التفسير .وأن يكون ممن رزقه الله علماً بالقرآن الكريم وعلماً بالسنن الكونية من أهل العلم الشرعي الأصيل وعلوم القرآن واللغة والعقيدة[1].

وخلاصة ما سبق إن التفسير العلمى قسمان:

تفسير علمى مقبول، وهو التفسيرالذى يحاول فيه المفسر فهم عبارات القرآن، والكشف عن أسرار إعجازه من خلال الاستئناس بالحقائق العلمية اليقينية الثابتة فى الكون والحياة والإنسان، وذلك كالحقائق التى اهتدى إليها الدكتور /زغلول النجار، فحاول أن يربطها بآيات القرآن الكريم على اعتبار أن القرآن الكريم كان له السبق فى التنبيه إليها قبل اكتشافها بآلاف السنين.

والقسم الثانى: التفسير العلمى المردود، وهو التفسير الذى يحاول فيه المفسر إخضاع آيات القرآن للفروض والنظريات العلمية القابلة للخطأ والصواب، وبذل أقصى الجهدلاستخراج جزئيات العلم الحديث فى القرآن الكريم، وذلك مثلما فعل الشيخ طنطاوى جوهرى فى تفسيره جواهر القرآن، والأستاذ عبدالرحمن الكواكبى فى كتابه الاستبداد ومصارع الاستعباد، والأستاذ حنفى أحمد فى كتابه التفسير العلمى للآيات الكونية فى القرآن، والدكتور صلاح الدين خطاب فى كتابه الجانب العلمى فى القرآن. . . وغيرهم.

---

(١) انظر: التفسير العلمي للقرآن في الميزان ص (٤٧١).

ومن الدخيل فى التفسير العلمى مايلى:

ما ذكره الشيخ طنطاوى جوهر عند تفسير قوله تعالى: ﴿ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَٰكُمْ ۖ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ * هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ ۚ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾[1]، يذكر عنوانًا للحديث عن السموات السبع، ثم يقول: "اعلم أننا على هذه الأرض محبوسون مغمورون فى حمأتها، تحيط بنا أنواع الآلام والشهوات، ولما كان عالم السموات أعظم ما نشاهده، وفيه، أنواع الجمال والضباء، والبهجة والحسن، اتجهت إليه أنظار العقلاء ورجال الدين، وأقدم ما وصل إلينا من العلم بذلك ما ذكره اليونان، وقفى على آثارهم علماء الإسكندرية أيام البطالسة، واستقرت آراء هؤلاء على أن الأرض فى مركز العالم، وأن القمر، وعطارد، والزهرة، والشمس، والمريخ، والمشترى، وزحل سيارات حولها، وكل واحد منها فى فلك دائر حول الأرض من الشرق إلى الغرب، فأما السيارات: فإن لها سيرًا خاصًا بها، تسير إلى جهة الشرق عكس الحركة اليومية للأفلاك السبعة، وتكون تلك الكواكب على أفلاكها أشبه بنملة دائرة على عجلة تسير فى طريق يخالف سيرها، وبهذه الحركة الكوكبية يكون شهر القمر، وسنة الشمس، وسنون لسائر الكواكب، ويقولون هناك فلكين آخرين يحيطان بالأفلاك السبعة: وهما فلك الثوابت، والأطلس،

---

(١) البقرة (٢٨)، (٢٩).

وقالوا: نحن علينا أن نفرض فلكًا ثامنًا لتكون تلك الكواكب الثابتة، فلكًا تاسعًا يكون مبدأ الحركة اليومية"[1]. وأخذ يشرح المجموعة الشمسية شرحًا وافيًا ودورة كل واحد من عناصر المجموعة.

ويقول عند تفسير قوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ ۚ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾[2]:" الفوائد الطبية فى هذه الآية: لقد أظهر الطب الحديث فى هذا العصر مخزيات المدينة ومصائبها الطبية وأبان أن الإكثار من اللحم وشرب الخمر والتدخين بالتبغ وشرب القهوة والشاى والكاكاو وأضرابهما من الممرضات والقاتلات، قال أساطين الأطباء: إن معيشة المدنى اليوم أصبحت لا تطاق فعلى الناس أن يقللوا من الأدوية التى فى الصيدليات المسماة (أجزخانات). وأخذ يشرح أقوال علماء الطب فى أثر العقاقير على صحة الإنسان، وفى النهاية قال أوليست هذه النماذج التى نحا نحوها القرآن، أوليس قوله ﴿أَتَسْتَبْدِلُونَ ٱلَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ بِٱلَّذِى هُوَ خَيْرٌ ۚ ﴾[3]رمزًا لذلك، كأنه يقول العيشة البدوية على المن والسلوى: وهما الطعامان الخفيفان اللذان لا مرض يتبعهما، مع الهواء النقى والحياة الحرة أفضل من حياة شقية فى المدن، يأكل التوابل واللحم والإكثار من ألوان الطعام مع الذلة وجور الحكام والجبن وطمع الجيران من الممالك

---

(١) الجواهر فى تفسير القرآن الكريم للشيخ طنطاوى جوهرى ١/٤٦-٥١.

(٢) البقرة (٢٩).

(٣)البقرة (٦١).

فتختفكم على حين غفلة وأنتم لا تشعرون، بمثل هذا تفسر هذه الآيات، وبمثل هذا فليفهم المسلموم كتاب الله. . "[1]

ومن الدخيل أيضًا عند تفسير قوله:﴿ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ﴾[2]

فسروا الطير فى السورة الكريمة بالبعوض والذباب، والحجارة المرسلة عليهم من الله بالطين المسموم اليابس الذى حملته الرياح، ومنهم الشيخ محمد عبده فى تفسيره لجزء "عم " وكان من المفرطين فى التفسير العلمى، قال: بعد أن أوجز معنى السورة: وفى اليوم الثانى فشا فى جند الجيش داء الجدرى والحصبة، ثم استطرد قائلا: " وقد بينت لنا السورة أن ذلك الجدرى أو تلك الحصبة نشأت من حجارة يابسة سقطت على أفراد الجيش بواسطة فرق عظيمة من الطير مما يرسله الله مع الريح، فيجوز لك أن تعتقد أن هذا الطير من جنس البعوض أو الذباب الذى يحمل جراثيم بعض الأمراض وأن تكون هذه الحجارة من الطين المسموم اليابس الذى تحمله الرياح فيعلق بأرجل هذه الحيوانات، فإذا اتصل بجسد دخل فى مسامه فأثر فيه تلك القروح التى تنتهى بإفساد الجسم وتساقط لحمه، وإن كثير من هذه الطيور الضعيفة تعد من أعظم جنود الله فى إهلاك من يريد إهلاكه "[3]

ومن الدخيل أيضًا ما ذكره الدكتور صلاح الدين خطاب فى كتابه الجانب العلمى فى القرآن، حيث فسر قوله تعالى: ﴿ وَقَدْ كَفَرُواْ بِهِۦ

---

(١)

(٢) الفيل (٣)

(٣) تفسير جزء "عم" ص(١٦١-١٦٢)، وانظر: التفسير العلمى فى الميزان ص (١٨٨).

مِن قَبۡلُۖ وَيَقۡذِفُونَ بِٱلۡغَيۡبِ مِن مَّكَانِۭ بَعِيدٖ ﴾[1]، بالتليفون، والهاتف، والتلغراف، والتلفاز، وقال فى تفسير قوله تعالى:﴿ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلۡأَرۡضُ زُخۡرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتۡ وَظَنَّ أَهۡلُهَآ أَنَّهُمۡ قَٰدِرُونَ عَلَيۡهَآ أَتَىٰهَآ أَمۡرُنَا لَيۡلًا أَوۡ نَهَارٗا فَجَعَلۡنَٰهَا حَصِيدٗا كَأَن لَّمۡ تَغۡنَ بِٱلۡأَمۡسِۚ﴾[2]: "هذه الآية تدل دلالة قاطعة على القنابل الذرية، فإن الكفار والأشرار ممن سكنوا الدنيا وظنوا أنهم بما تيسر لهم من المخترعات الحديثة أنهم قادرون عليها إصلاحًا وعمارة وتزينًا، وهدمًا، وتخريبًا، لم يقو عندهم هذا الظن إلا بعد حصولهم واختراعهم للقنابل الذرية، والطاقة الذرية ويفهم من الآية أن الله سيسلط أصحاب هذه القنابل بعضهم على بعض فيتحاربون، فيكون ذلك سببًا لخراب الدنيا وجعلها حصيدًا.

وتحت عنوان: القنابل والغواصات والألغام، وضع قوله تعالى: ﴿ قُلۡ هُوَ ٱلۡقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبۡعَثَ عَلَيۡكُمۡ عَذَابٗا مِّن فَوۡقِكُمۡ أَوۡ مِن تَحۡتِ أَرۡجُلِكُمۡ ﴾[3] يقول: "فهذا العذاب الذى وضعته الآية ينطبق على القنابل الذرية من الطائرات، من فوق الرءوس ومن الأعلى، أما العذاب من تحت الأرجل فإشارة إلى

---

(١) سبأ (٥٣).

(٢) يونس (٢٤)

(٣) الأنعام (٦٥).

الألغام والغواصات التى تنصب فى الأرض أو فى البحر، فيمر عليها من يراد إهلاكه، فتنفجر تحت رجله أو سيارته فتسبب له الهلاك"[1]

(١) انظر: أصول الدخيل فى التفسير للدكتور جمال عبدالتواب ص(٣٣٨-٣٤٠)، نقلا عن الجانب العلمى فى القرآن للدكتور صلاح الدين خطاب ص (١٨-١٩).

المبحث الثالث

نماذج من الدخيل فى التفسير

قولــه تعــالى :﴿ أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْكَهْفِ وَٱلرَّقِيمِ كَانُوا۟ مِنْ ءَايَٰتِنَا عَجَبًا ﴾[1] " والـرقيم: جانـب الـوادى، وقيـل هـو لـوح رقمـت فيـه قصـتهم، وجعلت علـى بـاب الغـار حـين غلـب المؤمنـون علـى أمـرهم واتخـذوا علـيهم مسجدًا "[2].

السخاوى – رحمه الله – ذكر أن الرقيم هو جانب الوادى وهذا القول أورده **الطبرى** بسنده فقال: "حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة قوله: {أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم} كنا نحدث أن الرقيم: الوادي الذي فيه أصحاب الكهف"[3].وهذا الإسناد ضعيف لضعف سعيد بن بشير الأزدي.[4]

---

(1) سورة الكهف آية (٩).

(2) تفسير السخاوى ١/٤٨٦.

(3) تفسير الطبري ١٧/ ٦٠٢.

(4) سعيد بن بشير الأزدي، ويقال: البصري، مولاهم أبو عبدالرحمن، ويقال: أبو سلمة الشامي، أصله من البصرة، ويقال: من واسط، قال ابن سعد: كان قدريا، وقد ضعفه ابن معين وابن المديني والإمام أحمد، وقال يعقوب بن سفيان: سألت أبا مسهر عنه فقال: لم يكن أحفظ منه وهو ضعيف منكر الحديث، وقال ابن نمير: يروي عن قتادة المنكرات، مات سنة ١٦٨هـ وقيل: سنة ٦٩هـ، وقيل: ٧٠هـ. انظر: ميزان الاعتدال – ٣/ ١٨٩، وتقريب التهذيب لابن حجر – ١/ ٢٠٣.

قال أهل اللغة: الرقيم: معناه المرقوم، فهو فعيل بمعنى مفعول من رقمت الكتاب إذا كتبته، ومنه قوله تعالى: ﴿كِتَٰبٌ مَّرۡقُومٞ﴾[1]، هكذا ذكروا.[2]

السخاوى – رحمه الله – ذكر قريبا من هذا ولكنه أورده بصيغة التمريض، وكأنه ارتضى القول الأول الذى ذكره.

والرقيم: هو لوح من رصاص كتب عليه أسماؤهم وقصتهم، أو هو كتاب أو حجر دون فيه قصتهم وأخبارهم، وهذا ما ذكره الإمام البخاري في صحيحه عند تفسيره لهذه اللفظة من سورة الكهف. [3]، وكذلك رجح هذا القول الإمام ابن جرير الطبري بعد أن ذكر جميع الأقوال الواردة في معنى الرقيم، ثم صوب هذا القول[4]. وقال ابن كثير: " وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم[5]: الرقيم: الكتاب. وهذا هو الظاهر من الآية، وهو اختيار ابن جرير

---

(1) سورة المطفِّفين آية(٩).

(2) انظر: المفردات في غريب القرآن لأبى القاسم الراغب الأصفهاني تحقيق محمد سيد كيلاني – كتاب الراء ص ٧٠١ – مطبعة مصطفى البابي الحلبي – الطبعة الأخيرة(١٣٨١هـ-١٩٦١م).

(3) صحيح البخارى – كتاب التفسير– باب قوله (أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم) ١٧٢/٤.

(4) انظر: تفسير الإمام الطبري ١٧/ ٦٠٤.

(5) عبدالرحمن بن زيد بن أسلم العدوي مولاهم المدني، روى عن أبيه، وابن المنكدر، وصفوان بن سليم، وغيرهم، وروى عنه: ابن وهب، وعبدالرزاق، ووكيع، والوليد بن مسلم، وابن عيينة، وغيرهم، كان صالحا تقيًا، صناعة العبادة والتقشف، ليس من أحلاس الحديث، توفي سنة اثنتين وثمانين ومائة. انظر: تهذيب التهذيب لابن حجر٣/ ٣٦٣. دار إحياء التراث العربى– بيروت،الطبعة الثانية(١٤١٣هـ ١٩٩٣م).

قال: "الرقيم" فعيل بمعنى مرقوم، كما يقول للمقتول: قتيل، وللمجروح: جريح. والله أعلم".[١]

وذكر الدكتور محمد أبو شهبة قصة أصحاب الكهف، وبين مدى إيراد ضعف هذه الأقوال، وذكر أنها من غرائب ما قيل في معنى الرقيم، ثم ذكر أن ما عليه كثير من السلف أن الرقيم: هو الكتاب أو الحجر الذي دون فيه قصتهم وأخبارهم، أو غير ذلك مما لا يعلمه إلا الله عز وجل.[٢]

وقوله تعالى : ﴿ وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ ۚ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ ۖ وَكَلْبُهُمْ بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ ۚ لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا ﴾[٣] : " قيل: كانوا يقلبون فى كل سنة مرة، وقيل: فى كل سنة مرتين، وقيل كانوا يقلبون فى يوم عاشوراء وهذا مما لا دليل عليه ".[٤]

السخاوى– رحمه الله– ذكر أنهم ذكر أنهم يقلبون مرة فى كل عام أو مرتين واستبعد تقليبهم فى يوم عاشوراء، وكأنه يرى أن تقليبهم فى العام مرة أو مرتين عليه دليل، ولكن الأمر ليس كما يرى السخاوى، فلا يوجد دليل من القرآن والسنة على تلك التقديرات.

---

(١) تفسير ابن كثير ١٢٦/٥.

(٢) انظر: الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير للدكتور محمد بن محمد أبو شهبة (ص٢٤١).

(٣) سورة الكهف آية (١٨).

(٤) تفسير السخاوى ٤٨٨/١.

يقول الإمام الطبرى:"حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة قوله: {ونقلبهم ذات اليمين وذات الشمال} وهذا التقليب في رقدتهم الأولى، قال: وذكر لنا أن أبا عياض قال: لهم في كل عام تقليبتان"[١].

و الإمام السيوطي يذكر هذه الأقوال وقد عزاها إلى أصحابها، فيقول: "وأخرج ابن أبي حاتم وابن مردويه عن ابن عباس في قوله:(ونقلبهم ذات اليمين وذات الشمال) قال: ستة أشهر على ذي الجنب، وستة أشهر على ذي الجنب". [٢]

وأخرج ابن المنذر، وابن أبي حاتم عن مجاهد في قوله: (ونقلبهم) قال: في التسع سنين ليس فيما سواه".[٣]

فالأخبار المروية عن ابن عباس فيها سعيد بن بشير وهو ضعيف، وبهذا يكون الإسناد ضعيفًا، وكذلك تناقض العلماء فى مرات التقليب، ولذلك يقول الرازى – رحمه الله –:"هذه التقديرات لا سبيل للعقل إليها، ولفظ القرآن لا يدل عليه، وما جاء فيه خبر صحيح فكيف يعرف، وقال ابن عباس رضي الله عنهما فائدة تقليبهم لئلا تأكل الأرض لحومهم ولا تبليهم. وأقول هذا عجيب لأنه تعالى لمَّا قدر على أن يمسك حياتهم مدة ثلثمائة سنة وأكثر فلم لا يقدر على حفظ أجسادهم أيضاً من غير تقليب".[٤]

---

(١) تفسير الطبرى ١٧/ ٦٢٤.

(٢) تفسير الدر المنثور للإمام السيوطي ٥ /٣٧٣.

(٣) تفسير ابن أبي حاتم ٧/ ١٣٥٢. ولم يذكر إسناده.

(٤) مفاتيح الغيب للرازى ٢١/٤٤٤.

لكن ما يجب أن يقال فى هذا الأمر: إن الله – تعالى – أخبر أن أصحاب الكهف كانوا يتقلبون في رقدتهم وهم نيام، وأنه سبحانه لم يخبر عن عدد تقليباتهم في نومهم، وهذه الأمور الغيبية لا سبيل للعقل لها. فلا يستطيع أحد أن يخبر عن عدد هذه التقليبات إلا بوحى من الله – عزوجل.

وقوله تعالى:﴿لَوِ ٱطَّلَعۡتَ عَلَيۡهِمۡ لَوَلَّيۡتَ مِنۡهُمۡ فِرَارٗا وَلَمُلِئۡتَ مِنۡهُمۡ رُعۡبٗا ﴾[1]

يقول أبو الفرج ابن الجوزي عند تفسيره لهذه الآية: "وقيل: إنهم طالت شعورهم، وأظفارهم جداً، فلذلك كان الرائي لو رآهم هرب مرعوباً، حكاه الزجاج". [2]

هذا القول الذي ذكره ابن الجوزي حكاه عن الزجاج، فنجده يذكر هذا القول في تفسيره[3] ولا يوجد له مستند فى كتب التفسير، ولكن هذا القول ضعيف جداً وهو من الدخيل على التفسير لمخالفته لنص الآية الكريمة وبيان ذلك كما يلي:

١- الآية التي تلي هذه الآية، وهي قوله تعالى: {وَكَذَلِكَ بَعَثْنَاهُمْ لِيَتَسَاءَلُوا بَيْنَهُمْ}[4] تدل هذه الآية الكريمة على أن أهل الكهف عندما استيقظوا من نومهم لم ينكروا على أنفسهم أي تغيير ظاهر فيهم، وبالتالي فإنهم قال بعضهم لبعض: { لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ}، فهذا القول ينبئ على أنهم عندما نظروا إلى أنفسهم لم يكن هناك أي تغيير من إطالة شعر أو

---

(١) سورة الكهف من الآية [١٨].

(٢) انظر: زاد المسير – ٧٤/٥.

(٣) انظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج ج٣ ص ٢٧٥.

(٤) سورة الكهف من الآية [١٩].

ظفر يجعلهم يشكون في أنهم قد مكثوا وقتاً طويلاً في هذا النوم أو ما يدل على طول المدة.[١]

٢- لم يتمكنوا من معرفة المدة التي مكثوها وهم نائمون إلا بإخبار أهل القرية لمن ذهب منهم ليحضر لهم الطعام. [٢]

٣- عندما ذهب أحدهم لإحضار الطعام لم ينكر إلا معالم القرية والبناء واختلاف أحوال الناس، وبالتالي لم ينكر أهل القرية على هذا الرجل حالته أو هيئته، وإنما كان إنكارهم عليه ما رأوه من عملة تخالف عملتهم، حتى ظنوه أنه وجد كنزاً فأرادوا أن يلحقوا به، وعلى هذا ينبني أن حالتهم كانت حسنة بحيث لا يفرق الرائي بينهم وبين الأيقاظ. [٣]

والصحيح في أمرهم أن الله عز وجل حفظ لهم الحالة التي ناموا عليها لتكون لهم ولغيرهم منهم آية، فلم يبل لهم ثوب، ولا تغيرت لهم صفة، ولا أنكر الناهض إلى المدينة إلا معالم الأرض والبناء، ولو كان في حالته أدنى تغيير لروي ذلك. [٤] وإنما كان سبب الرعب منهم إن اطلع عليهم الرائي لما ألبسهم الله من الهيبة؛ كي لا يصل إليهم واصل، ولا تمسهم يد لامس حتى يبلغ الكتاب فيهم أجله، وتوقظهم من رقدتهم قدرته عز وجل

---

(١) انظر: تفسير البحر المحيط ٧ /١٥٤.

(٢) انظر: التفسير القرآن للقرآن – للشيخ عبدالكريم الخطيب ج١٣ ص ٦٠٢ ، تفسير فتح القدير للإمام الشوكاني – ج٣ ص ٢٨١.

(٣) انظر: تفسير التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور – ج١٣ ص ٨٢ .

(٤) انظر: تفسير المحرر الوجيز لابن عطية– ج٣ ص ٥٠٥.

وسلطانه في الوقت الذي أراد؛ لكي يجعلهم عبرة لمن شاء من خلقه، وآية لمن أراد الاحتجاج بهم عليه من عباده، ليعلموا أن وعد الله حق وأن الساعة لا ريب فيها.[١]

النموذج الرابع :

ومن الإسرائيليات التي تخل بمقام الأنبياء، وتنافي عصمتهم، ما ذكره بعض المفسرين في قصة سيدنا داود عليه السلام عند تفسير قوله تعالى:﴿ وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ، إِذْ دَخَلُوا عَلَى دَاوُدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُوا لا تَخَفْ خَصْمَانِ بَغَى بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ فَاحْكُمْ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلا تُشْطِطْ وَاهْدِنَا إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ ﴾[٢]

وقد رد المفسرون ما ورد فى شأن سيدنا داود –عليه السلام– من روايات مكذوبة.

يقول الإمام ابن عطية – رحمه الله –:"وهنا قصص طول الناس فيها واختلفت الروايات به، ولابد أن نذكر منه ما لا يقوم تفسير الآية إلا به وفي كتب بني إسرائيل في هذه القصة صور لا تليق وقد حدث بها قصاص في صدر هذه الأمة".[٣]

---

(١) انظر: تفسير الإمام الطبري – ٢١٥/٨، تفسير الإمام ابن كثير – ٧٦/٣، تفسير الإمام المراغي – ج١٣ ص ١٢٩ .

(٢) ص (٢١)،(٢٢).

(٣) المحرر الوجيز لابن عطية ٤/ ٤٩٨، ٤٩٩.

يقول الإمام أبو حيان – رحمه الله –:

"لما أثنى الله تعالى على داود – عليه السلام – بما أثنى، ذكر قصته هذه ليعلم أن مثل قصته لا يقدح في الثناء عليه والتعظيم لقدره، وإن تضمنت استغفاره ربه، وليس في الاستغفار ما يشعر بارتكاب أمر يستغفر منه، وما زال الاستغفار شعار الأنبياء المشهود لهم بالعصمة. وذكر المفسرون في هذه القصة أشياء لا تناسب مناصب الأنبياء ضربنا عن ذكرها صفحاً ويعلم قطعاً أن الأنبياء معصومون من الخطايا، لا يمكن وقوعهم في شيء منها، ضرورة أن لو جوزنا عليهم شيئاً من ذلك بطلت الشرائع، ولم نثق بشيء مما يذكرون أنه أوحى الله به إليهم، فما حكى الله به في كتابه يمر على ما أراده تعالى، وما حكى القصاص مما فيه غض عن منصب النبوة طرحناه".[1]

ويقول القاضي عياض: "وأما قصة داود – عليه السلام – فلا يجب أن يلتفت إلى ما سطره فيه الأخباريون عن أهل الكتاب الذين بدلوا وغيروا ونقله بعض المفسرين، ولم ينص الله على شيء من ذلك ولا ورد في حديث صحيح".[2]

والإمام الرازي يرد على مثل هذه الروايات التي لا تليق بمكانة هذا النبي الذي جمع الله له بين الملك والنبوة.

([1]) البحر المحيط لأبى حيان٧/ ٣٩١ ، ٣٩٣.

([2]) الشفا بتعريف بحقوق المصطفى للقاضى عياض تحقيق علي محمد البجاوي ٢/ ١٦٣ – ١٦٤، دار الكتب العلمية بيروت، طبعة (١٩٧٩ م).

فيقول:" للناس في هذه القصة ثلاثة أقوال: **أحدها:** ذكر القصة على وجه يدل على صدور الكبيرة عنه. **ثانيها:** دلالتها على الصغيرة. **ثالثها:** بحيث لا تدل على الكبيرة ولا على الصغيرة.

فأما القول الأول– فحاصل كلامهم فيها: أن داود عشق امرأة أوريا فاحتال بالوجوه الكثيرة حتى قتل زوجها، ثم تزوج بها فأرسل الله إليه ملكين في صورة المتخاصمين والذي أدين به وأذهب إليه أن ذلك باطل ويدل عليه وجوه:

الأول– أن هذه الحكاية لو نسبت إلى أفسق الناس وأشدهم فجوراً لاستنكف منه.

الثاني– أن حاصل القصة يرجع إلى أمرين: إلى السعي في قتل رجل مسلم بغير حق، وإلى الطمع في زوجته.

الثالث– أن الله تعالى وصف داود – عليه السلام– قبل ذكر هذه القصة بالصفات العشر المذكورة، ووصفه أيضاً بصفات كثيرة بعد ذكر هذه القصة وكل هذه الصفات تنافي كونه – عليه السلام– موصوفاً بهذا الفعل المنكر والعمل القبيح.

فثبت بهذه الوجوه التي ذكرنا أن القصة التي ذكروها فاسدة باطلة". [1]

والإمام الألوسي – رحمه الله – يقول: "وعندي أن ترك الأخبار بالكلية في القصة مما لا يكاد يقبله منصف، نعم لا يقبل منها ما فيه إخلال بمنصب النبوة، ولا يقبل تأويلاً يندفع معه ذلك ولابد من القول بأنه لم يكن منه –

([1]) مفاتيح الغيب للرازى ٢٦/ ٣٨٠، ٣٨١.

عليه السلام- إلا ترك ما هو الأولى بعلو شأنه والاستغفار منه وهو لا يخل بالعصمة".[1]

يقول الدكتورمحمد أبو شهبة بعد أن رد على الروايات الموقوفة على بعض الصحابة والتابعين ومسلمة أهل الكتاب، بل رد أيضاً على الروايات المرفوعة إلى النبي- ﷺ-:"ومن ثم يتبين لنا: كذب رفع هذه الرواية المنكرة إلى رسول الله - ﷺ - يعني رواية أنس - ولا نكاد نصدق ورود هذا عن المعصوم، وإنما هي اختلاقات وأكاذيب من إسرائيليات أهل الكتاب، وهل يشك مؤمن عاقل يقر بعصمة الأنبياء في استحالة صدور هذا عن داود - عليه السلام- ثم يقول على لسان من؟ على لسان من كان حريصاً على تنزيه إخوانه الأنبياء عما لا يليق بعصمتهم، وهو: نبينا محمد - ﷺ.

ومثل هذا التدبير السيئ والاسترسال فيه على ما رووا، لو صدر من رجل من سوقة الناس وعامتهم لاعتبر هذا أمراً مستهجناً ومستقبحاً، فكيف يصدر من رسول جاء لهداية الناس، زكت نفسه وطهرت سريرته وعصمه الله من الفواحش ما ظهر منها وما بطن، وهو الأسوة لمن أرسل إليهم!.

ولو أن القصة كانت صحيحة لذهبت بعصمة داود، ولنفرت منه الناس، ولكان لهم العذر في عدم الإيمان به، فلا يحصل المقصد الذي من

([1]) روح المعاني للآلوسى تحقيق علي عبد البارى عطية ١٥/ ١٣،ط: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى(١٤١٥ هـ).

أجله أرسل الرسل، وكيف يكون على هذه الحال من قال الله تعالى في شأنه﴿ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلۡفَىٰ وَحُسۡنَ مَـَٔابٍ ﴾[1].

والحق: أن الآيات ليس فيها شيء مما ذكروا، وليس هذا في شيء من كتب الحديث المعتمدة، وهي التي عليها المعول، وليس هناك ما يصرف لفظ النعجة من حقيقته إلى مجازه، ولا يصرف القصة عن ظاهرها إلى الرمز والإشارة".[2]

أما ماجاء فى كيفية توبة داود -عليه السلام-:

يقول السخاوى – رحمه الله –: "وقيل إنه أقام ساجدا أربعين ليلة وكان لا يرفع رأسه إلا لصلاة مكتوبة، أو ما لابد منه ولا يرقأ دمعه حتى نبت العشب من دمعه إلى رأسه، ولم يشرب ماء إلا وثلثاه دمعه، وجهد نفسه واشتغل بالبكاء والتوبة عن مملكته حتى وثب له ابن له يقال له إيشا على ملكه، ودعا إلى نفسه، فلما غفر لداود حارب ابنه وهزمه، وروى أنه نقش خطيئته فى كفه حتى لا ينساها".[3]

فالسخاوى – رحمه الله – نقل هذا الكلام ولم يعلق عليه وكان الأليق به ألا يذكر مثل هذا الكلام في حق سيدنا داود – عليه السلام– وغيره من الأنبياء الذين عصمهم الله – عزوجل– عن الكبائر، فهنا نقل الأقوال دون نفيها اعتماداً على نفيه لما قيل فى حق داود، وكأنه أراد أن يقول طالما نفيت

([1]) سورة ص آية (٤٠).

([2]) الإسرائيليات والموضوعات فى كتب التفسير ٢٦٧/١.

([3]) تفسير السخاوى ٢١٨/٢. وانظر: تفسير الطبرى ١٤٧/٢٣، و الكشاف للزمخشرى ٨٨/٤.

عنه واقعة المرأة فما يأتى بعد لا عبرة به ولا ينظر إليه، وإن كنت أرى أنه لا مقام لذكر مثل هذا الأقوال هنا.

لكن اعتمد المفسرون على أقوال نسبت إلى رسول الله -ﷺ- فى شأن توبة داود -عليه السلام- وهى روايات ضعيفة مرجعها إلى الإسرائيليات منها :

- ما رواه الوليد بن مسلم[1]: قال حدثني أبو عمرو الأوزاعي[2] أن رسول الله - ﷺ- قال: " إنما مثل عيني داود مثل القربتين تنطفان ولقد خدد الدموع في وجه داود خديد الماء في الأرض ".[3]

- وروي مرفوعاً من حديث أبي هريرة عن النبي - صلى الله عليه وسلم - : " إن داود مكث أربعين ليلة ساجداً حتى نبت العشب من دموعه على رأسه وأكلت الأرض من جبينه وهو يقول في سجوده: يا رب داود زل زلة بعد بها ما بين المشرق والمغرب، رب إن لم ترحم ضعف داود وتغفر ذنبه جعلت ذنبه حديثاً في الخلق من بعده، فقال له جبريل بعد أربعين سنة: يا داود إن الله قد غفر لك الهم الذي هممت به.[4]

---

(1) قال عنه الحافظ ابن حجر: ثقة كثير التدليس والتسوية، تقريب التهذيب لابن حجر ٢ / ٢٨٩، وقال عنه الحافظ الذهبي: "قال عنه أبو مُسْهِر كان الوليد يأخذ من ابن أبي السَفر حديث الأوزاعي، وكان ابن أبي السَفر كذاباً وهو يقول فيها قال الأوزاعي". ميزان الاعتدال للذهبى ٤/ ٣٤٧.

(2) هو عبد الرحمن بن عمرو تابعي ثقة، تقريب التهذيب ٢/ ٥٨٠.

(3) رواه الحكيم الترمذي دون إسناد ١/ ٣٩٧..

(4) لم أقف عليه، ولكني وجدت مثله في حديث طويل رواه الإمام الطبري عن أنس بن مالك - رضي الله عنه - وفيه يزيد الرقاشي وهو ضعيف، وقد رواه أيضاً الإمام ابن جرير

ويقول الإمام ابن كثير:" قد ذكر المفسرون هاهنا قصة أكثرها مأخوذ من الإسرائيليات ولم يثبت فيها عن المعصوم حديث يجب اتباعه ولكن روى ابن أبي حاتم هنا حديثا لا يصح سنده؛ لأنه من رواية يزيد الرقاشي[١] عن أنس – ويزيد وإن كان من الصالحين– لكنه ضعيف الحديث عند الأئمة فالأولى أن يقتصر على مجرد تلاوة هذه القصة وأن يرد علمها إلى الله عز وجل فإن القرآن حق وما تضمن فهو حق أيضا".[٢]

وقد رد الإمام السيوطي – رحمه الله – هذه الروايات لأنها ضعيفة فقال: "والقصة التي يحكونها في شأن المرأة وأنها أعجبته وأنه أرسل زوجها مع البعث حتى قتل أخرجها ابن أبي حاتم من حديث أنس مرفوعاً وفي إسناده ابن لهيعة وحاله معروف عن أبي صخر[٣] عن يزيد الرقاشي، وأخرجها من حديث ابن عباس موقوفاً".[٤]

ومن خلال ما نقله المفسرون حول قصة داود -عليه السلام – وفتنه يمكن القول بأن: الأمر الذي وقع من سيدنا داود – عليه السلام– ومن أجله استغفر ربه، هو

عن مجاهد بنحوه،انظر: جامع البيان للطبرى ١٠/ ٥٧٤. والدر المنثور للسيوطى وعزاه إلى الحكيم الترمذى فى نوادر الأصول الدر المنثور ٥/ ٥٦٥.

(١) يزيد الرقاشى: هو يزيد بن أبان الرقاشي بتخفيف القاف ثم غدا أبو عمرو البصري القاص بتشديد المهملة زاهد ضعيف من الخامسة مات قبل العشرين انظر : تقريب التهذيب لابن حجر ٣٢٠/٢.

(٢) تفسيرابن كثير ٦٠/٧.

(٣) أبو صخر هو: حميد بن زياد: قال عنه الحافظ الذهبى: قال أحمد ليس به بأس، وقال ابن معين: ضعيف، انظر: ميزان الإعتدال ١/ ٦١٢.

(٤) الإكليل في استنباط التنزيل للإمام السيوطى، تحقيق سيف الدين عبد القادر الكاتب ص: ٢٢١، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى (١٤٠١هـ – ١٩٨١م).

أنه تسرع في الحكم للمدعي دون السماع للمدعي عليه ظناً منه أن الحق في جانبه، أن القضية فيها ظلم صارخ، وجور ظاهر – وهذا خلاف الأولى من سيدنا داود –عليه السلام–.

ويقوي هذا أن الآيات التي جاءت بعد هذه القصة تناولت استخلاف الله – عزوجل – لسيدنا داود – عليه السلام – في الأرض. وأمره بأن يحكم بين الناس بالحق ولا يتبع الهوى. قال تعالى: ﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلۡنَٰكَ خَلِيفَةٗ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱحۡكُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلۡهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدُۢ بِمَا نَسُواْ يَوۡمَ ٱلۡحِسَابِ﴾[1].

ماجاء فى قصة أيوب – عليه السلام–.

جاء ذكر قصة أيوب – عليه السلام– فى القرآن الكريم فى موضعين:

الأول– يقول الله –تعالى:﴿وَأَيُّوبَ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾[2].

الثانى– يقول الله – تعالى:﴿وَٱذۡكُرۡ عَبۡدَنَآ أَيُّوبَ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلشَّيۡطَٰنُ بِنُصۡبٖ وَعَذَابٍ﴾[3]

يقول السخاوى – رحمه الله – عند تفسير قوله ﴿وَأَيُّوبَ﴾ " كان له مال وولد فهلك جميعهم ونحل جسده، وانقطع عنه كل من كان يزوره، وسعى

---

(1) سورة ص آية (٢٦).

(2) سورة الأنبياء آية(٨٣).

(3) سورة (ص) آية(٤١).

الدود فى جسده وهو لا يقطع ذكر الله وتسبيحه، فاستشار إبليس ذريته فيما يبتلى به أيوب، فقالوا له: إنما عصى آدم من قبل ما وسوست لزوجته فافعل مثل ذلك بأيوب وكانت امرأة أيوب تتصدق من الناس وتطعم أيوب، فجاء إبليس على صورة عظيمة، فقال لها: لولا أن ربك غضب على أيوب ما ابتلاه بهذا البلاء، اذبحوا على اسمى وأنا أبرئه لك من المرض فجاءت إلى أيوب وقالت: يا أيوب أين المال

وأين الولد وأين لونك؟ اذبح هذه السخلة[1] على اسم أبى مُرة، فقال لها: أتاك الشيطان ووجدك قد أصغيت إليه، والله لئن عوفيت لأجلدنك مائة جلدة، وحرام علىَّ أن آكل مما تحضريه شيئًا، فانقطعت عنه وبقى ملقى على كناسة[2] "[3]، وذكر السخاوى – رحمه الله – أسبابًا أخرى لحلفه عند تفسير قوله تعالى:﴿ وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَٱضْرِب بِّهِۦ وَلَا تَحْنَثْۗ إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًاۚ نِّعْمَ ٱلْعَبْدُۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴾[4]:"الضغث: الحزمة الصغيرة من حشيش أو ريحان، وكان سبب حلف أيوب أنه بعثها فى حاجة فأبطأت وقيل باعت ذوائبها[5] برغيفين،

---

(1) السَّخَلة هي: ولد الشاة من المعز أو الضان، ذكراً كان أو أنثي. لسان العرب مادة (س خ ل)٣٢٢/١١.

(2) كُناسَة البيت ما كُسِحَ منه من التراب فأُلقي بعضه على بعض والكُناسة أَيضا مُلْقَى القُمَامِ، لسان العرب لابن منظور، مادة (ك ن س) ١٩٧/٦.

(3) تفسر السخاوى ٥٦٢/١.

(4) سورة (ص)آية (٤٤).

(5) جمع ذؤابة وهى الشعر المضفور من شعر الرأس، لسان العرب لابن منظور، مادة (ذأب) ٣٧٧/١.

وكان أيوب إذا أراد أن يجلس تعلق بالذؤابتين، فلما أخبرته أنها باعتهما حلف. وقيل قال لها الشيطان: اسجدى لى سجدة واحدة، وأنا أرد عليكم أموالكم فهمت أن تفعل فأدركتها العصمة، فذكرت ذلك له فحلف، وقيل أوهمها الشيطان أنه إذا شرب الخمر برئ، فعرضت له بذلك فحلف، وقيل قالت له تقرب للشيطان بعناق[1]". [2]

وقوله عند تفسير قوله: ﴿مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ﴾: " قيل: هو المرض. وقيل: انقطع عنه الوحى أيامًا فخشى على نفسه هجران ربه. وقيل: هو الشيطان لقوله ﴿أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ﴾ "[3].

ويقول السخاوى فى سبب بلاء أيوب –عليه السلام–: " إنه كان له غنم فى سلطنة ملك كافر، فداهنه ولم يغزه. وقيل: إن رجلا استغاثه على ظالم فلم يغثه. وقيل: أعجب بكثرة ماله".[4]

هذا ما نقله السخاوى – رحمه الله – فى قصة أيوب – عليه السلام–، ومن العجيب أن السخاوى وقع فيما وقع فيه غيره فى قصة أيوب، من ذكر الكثير من الإسرائيليات ولم يعقب عليها، على الرغم من أن رائحة الإسرائيليات تفوح منها.

---

(1) هي الأُنثى من أَولاد المعز ما لم يتم له سنة، لسان العرب لابن منظور، مادة (ع ن ق) ٢٧١/١٠.

(2) تفسير السخاوى ٢٢٦/٢.

(3) تفسير السخاوى ٥٦٣/١.

(4) تفسير السخاوى ٢٢٥/٢.

أولاً- ماجاء فى مرض أيوب عليه السلام:

يذكر السخاوى أن أيوب - عليه السلام- قد مرض حتى سعى الدود فى جسده، وأنه أُخرج على كناسة وابتعد عنه الناس[1]، فهذا يدل على أن مرضه كان منفرًا، وفى هذا يقول الدكتور محمد أبو شهبة " والذي يجب أن نعتقده: أنه ابتلي، ولكن بلاءه لم يصل إلى حد هذه الأكاذيب، من أنه أصيب بالجذام، وأن جسمه أصبح قرحة، وأنه أُلقِيَ على كناسة بني إسرائيل، يرعى في جسده الدود، وتعبث به دواب بني إسرائيل، أو أنه أصيب بمرض الجدري.

وأيوب -عليه صلوات الله وسلامه- أكرم على الله من أن يلقى على مزبلة، وأن يصاب بمرض ينفر الناس من دعوته، ويقززهم منه، وأي فائدة تحصل من الرسالة وهو على هذه الحال المزرية التي لا يرضاها الله لأنبيائه ورسله؟!.

والأنبياء إنما يبعثون من أوساط قومهم، فأين كانت عشيرته فتواريه، وتطعمه بدل أن تخدم امرأته الناس، بل وتبيع ضفيرتيها في سبيل إطعامه؟

وأين كان أتباعه، والمؤمنون منه، هل تخلَّوا عنه في بلائه؟! كيف والإيمان ينافي ذلك؟!

الحق: أن نسج القصة مهلهل، لا يثبت أمام النقد، ولا يؤيده عقل سليم، ولا نقل صحيح، وأن ما أصيب به أيوب-عليه السلام- من المرض إنما كان

---

(1) تفسير السخاوى ١/ ٥٦٢، وانظر: جامع البيان للطبرى ٧٩/١١، وتفسير ابن كثير ٤/ ٣٩ ، ٤٠، والجامع لأحكام القرآن ١٥/ ١٩٩، ٢٠١.

من النوع غير المنفر، والمقزز، وأنه من الأمراض التي لا يظهر أثرها على البشرة، كالروماتيزم، وأمراض المفاصل، والعظام ونحوها، ويؤيد ذلك: أن الله لما أمره أن يضرب الأرض بقدمه، فنبعت عين، فاغتسل منها، وشرب، فبرأ بإذن الله، وقيل: إنه ضرب الأرض برجله فنبعت عين حارة، فاغتسل منها، وضربها مرة أخرى، فنبعت عين باردة، فشرب منها، والله أعلم بالصواب، وظاهر القرآن عدم التعدد في الضرب ولا في نبع الماء"[1].

([1]) الإسرائيليات والموضوعات فى كتب التفسير للدكتور محمد أبو شهبة (صـ ٣٩٢، ٣٩٣).

الفصل الثانى

المستشرقون وموقفهم من الوحي

المبحـــــث الأول: الاستشراق (مفهومه ونشأته وأهدافه الدينية وبعض وسائله).

المبحـــث الثـــاني: قضية الوحي وموقف المستشرقين منها.

المبحث الأول

الاستشراق (مفهومه ونشأته وأهدافه الدينية وبعض وسائله)[1]

أولاً: مفهوم الاستشراق:

الاستشراق (Orientalism) مصطلح له دلالاته، والباحث في المعاجم اللغوية القديمةلا يجد مفردة (استشرق) إنما يجد مفردة المشرق، والاستشراق مصدر الفعل (استشرق) أي: اتجه إلى الشرق.

وقد تناوله العلماء بالدراسة والبحث وعرفوه على النحو الآتي:

يعرف الاستشراق بأنه اشتغال غير الشرقيين بدراسة لغات الشرق وحضارته وفلسفاته وآدابه وأديانه [2].

ويطلق على التيار الفكري الذي تمثل في إجراء الدراسات المختلفة عن الشرق الإسلامي، والتي شملت حضارته وأديانه وآدابه ولغاته وثقافته [3].

ويطلق – كذلك – على تلك المحاولة التي قام ويقوم بها بعض مفكري الغرب للوقوف على معالم الحضارة الإسلامية وثقافة الشرق وعلومه.

---

(1) هذا المبحث وما بعده نقلا عن كتاب القرآن والدراسات الاستشراقية لـ أ. د/ إبراهيم رشاد محمد صبرى ٩-٤٤، مكتبة الدعوة.

[2] انظر: أضواء على الاستشراق والمستشرقين، محمد أحمد دياب، ص ١٠.

[3] انظر: شبهات حول الاستشراق، فراج الشيخ الغزاري، ص ١٤.

ويعرفه المستشرق الفرنسي الشهير مكسيم رودنسون بأنه: " اتجاه علمي لدراسة الشرق الإسلامي وحضارته " [١].

والاستشراق هو تعبير أطلقه الغربيون على الدراسات المتعلقة بشعوب الشرقيين، والمستشرقون هم المفكرون المشتغلون بدراسة علوم الشرق وتأريخه وحضارته وأوضاعه الاجتماعية والسياسية والاقتصادية [٢].

ويعرف الاستشراق – بصورة أعم – بأنه دراسة الشرق، ثقافاته ومعتقداته وآدابه وعاداته وتقاليده وأساطيره وتاريخه من قبل علماء ومؤسسات غربية [٣].

ويخطئ من يقول إن الاستشراق حركة علمية، أو اتجاه علمي لدراسة الشرق الإسلامي وحضارته كما ادعاه المستشرق الفرنسي الشهير " مكسيم رودنسون "، لا هدف لها إلا دراسة التراث الشرقي في معتقداته وآدابه؛ بل هو في حقيقة الأمر حركة واسعة الدوافع والقوى الكامنة، خادمة للاستعمار وأهدافه، وهو يتخذ من دراسة التراث الشرقي وسيلة لمحاربة الإسلام، والتشكيك في مصادره ليصرف المسلمين عن دينهم.

ثانياً: نشأة الاستشراق:

لم يجزم أحد بتحديد بدايات الاستشراق، فبعض الباحثين يرجع البدايات إلى أيام الدولة الإسلامية في الأندلس عندما اهتم الغرب بدراسة

---

[١] عن كتاب: الإسلام وشبهات المستشرقين، لفؤاد كاظم المقدادي، ص ٣١.

[٢] عقائد وتيارات فكرية معاصرة: محمد شامة وآخرون، ص ١٥٥.

[٣] الدراسات الإسلامية في الجامعة الألمانية: لرودي بارت، ص ١١.

الحضارة الشرقية، ويربطون بداية حركة الاستشراق بالراهب الفرنسي (جرير دي أولياك، المتوفى ١٠٠٣م)، فهو يعد أول المشتغلين بعلوم الشرق، وارتحل إلى الأندلس، ودرس فيها اللغة العربية، ووقف على علوم العرب في الرياضيات والطب والكيمياء والفلسفة، وقرأ بعض العلوم الدينية، وأصبح أوسع علماء عصره بالثقافة العربية، وتقلد منصب البابوية في روما باسم سلفستر الثاني (٩٩٩-١٠٠٣م) [١].

وبعض الباحثين يرجعون بداية الاستشراق إلى الفشل الذي لحق بالأوربيين في الحرب الصليبية، وأرادت أن تثير على المسلمين حرباً صليبية جديدة عن طريق التبشير، وقد جاء هذا التحول بناء على وصية القديس لويس التاسع ملك فرنسا وقائد الحملة الصليبية التي انتهت بالفشل ووقوع لويس نفسه في الأسر والسجن في مدينة المنصورة بمصر، وطالب فيها بأن تتوقف الحروب العسكرية على عالم الإسلام؛ لأنها لم تستطع أن تحقق شيئاً، وأن تبدأ حرب الكلمة، ودعا الكنيسة إلى العمل على تحريف مفهوم الإسلام الصحيح وإخراجه من أصالته وتكامله [٢].

كما يرجع البعض الآخر من الباحثين بداية الاستشراق إلى صدور قرار مجمع فينا الكنسي عام (١٣١٢م) وذلك بإنشاء عدد من كراسي اللغة

---

[١] انظر: عقائد وتيارات فكرية معاصرة، ص ١٥٧.

[٢] انظر: المد الإسلامي في مطلع القرن الخامس عشر، أنور الجندي، ص ١١.

العربية في عدد من الجامعات الأوروبية (باريس، أكسفورد – بولونيا – سلمنكا – جامعة الإدارة المركزية البابوية) وعين للتدريس فيها مدرسين كاثوليكيين [1].

وأما تداول مصطلح الاستشراق بالصيغة المتعارف عليها حالياً فقد ظهر في أوروبا في نهاية القرن الثامن عشر، وقد بدأ استخدام هذا اللفظ في إنجلترا منذ عام (١٧٧٩م)، وأدرج رسمياً في قاموس الأكاديمية الفرنسية عام (١٨٣٩م)[2].

والمتتبع لحركة الاستشراق يجد أنه مواكب لحركة الاستعمار الغربي لبلاد الشرق والإسلام، مما يدل على أنه امتداد للحروب الصليبية، وشكل من أشكالها، وقد نشطت حركة الاستشراق وبلغت أشدها منذ قرنين من الزمان في صورة حركة تابعة لحركة الاستعمار.

---

[1] انظر: تاريخ حركة الاستشراق، يوهان فوك، ت عمر العالم، ص ٣١.

[2] انظر: شبهات حول الاستشراق، للغزاري، ص ١٥.

ثالثاً: أهداف الاستشراق ودوافعه الدينية:

إن الدوافع والأهداف وراء حركة الاستشراق متعددة، ولعل الهدف الاستراتيجي من جملة نشاطهم الاستشراقي هو هدف ديني – بالإضافة إلى أهدافهم الأخرى – هو تشويه الإسلام وحماية أوروبا من قبول الإسلام بعد أن عجزت عن القضاء عليه من خلال الحروب الصليبية.

وسنقتصر في هذا الكتاب عن هذا الباعث كون موضوعنا متصلاً بهذا الجانب، ولكون الباعث الديني لنشأة الاستشراق له أهميته في صياغة الأهداف التي يعمل الاستشراق على تحقيقها، فقد تركت الحروب الصليبية أثرها على نفسية الغرب، وما سبق ذلك من الفتوحات الإسلامية التي كان لها الأثر الكبير في دخول الكثير من الممالك المسيحية في الدين الإسلامي.

يقول (جوستاف لوبون) في كتابه (حضارة الغرب): " لقد تراكمت الأوهام الموروثة المتسلطة علينا والنقمة على الإسلام– بسبب الحروب الصليبية، واستيلاء المسلمين على الآستانة، وقوة تأثير مدينتهم السامية الساحقة – حتى أصبحت تلك النقمة جزءاً من نظامنا، وكانت تلك الأوهام متأصلة فينا. . كالبغض المتأصل المتزايد في أعماق النصارى لليهود "[1].

ويقول المستشرق الفرنسي (كيمون) في كتابه (باثولوجيا الإسلام): " إن الديانة المحمدية جذام تفشي بين الناس، وأخذ يفتك بهم فتكاً ذريعاً بل

---

[1] عن كتاب: عقائد وتيارات فكرية، ص ١٢.

هو مرض مريع، وشلل عام يبعث على الخمول والكسل. . . " ويقول: " أعتقد أن من الواجب إبادة خمس المسلمين والحكم على الباقين بالأشغال الشاقة، وتدمير الكعبة، ووضع قبر محمد في متحف اللوفر " [١].

ولهذا نجد حركة الاستشراق انطلقت من الكنيسة، وأوفدت لهذه المهمة رهبانها وقساوستها لدراسة علوم الإسلام لتخريج جيل يستطيع مجادلة المسلمين على علم ودراية، متمسكين بعاطفتهم الدينية الشديدة، وهذا يجعل سيطرة الباعث الديني على البواعث الأخرى، ومن هنا نجد أن هؤلاء المستشرقين تعرفوا على الإسلام وحضارته، وعلومه ولغته العربية، ليستطيعوا الوصول إلى هدفهم وهو الطعن في الإسلام وحضارته، وتحريف حقائقه.

ولذلك يسعى المستشرقون من مزاعمهم وافتراءاتهم ضد الإسلام إلى تحقيق الأهداف الآتية [٢]:

أولاً: تشويه صورة الإسلام والقدح في تفرده وأصالته، وهم بهذا التشويه يقدمون الإسلام على أنه صورة مشوهة للتراث اليهودي والنصراني، وأن هناك كلمات غير عربية في القرآن، استعير معظمها من مصادر يهودية ونصرانية،. . . تقف شاهداً على ما يدين به محمد لكل من اليهودية والنصرانية، وأن بعض الأنبياء المشار إليهم في القرآن إنما هم شخصيات الكتاب المقدس: نوح وموسى وإبراهيم.

---

[١] المصدر السابق، ص ١٥٩.

[٢] راجع: المستشرقون والدراسات العربية والإسلامية – المؤتمر الدولي الثاني بجامعة المنيا، كلية دار العلوم، جـ١ ص ٦٣.

يقول أديسون في وصف محمد ﷺ: " محمد لم يستطع فهم النصرانية، ولذلك لم يكن في خياله منها إلا صورة مشوهة بنى عليها دينه الذي جاء به للعرب " [1].

وإذا كان هناك تشابه بين القرآن والتوراة والإنجيل فهذا أمر طبيعي، لأن المصدر واحد وهو الوحي، أما التناقض فيرجع إلى تحريف اليهود والنصارى للوحي المنزل على موسى وعيسى. وهم في هذا التشكيك يريدون أن يبثوا في نفوس المسلمين أنهم ليسوا أهل إبداع فكري أو حضارة أصيلة، وليعملوا على إخراج المسلمين من دينهم، قال تعالى: ﴿ **وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلاَ النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ** ﴾ [2].

ثانياً: التعمية على مبدأ عالمية الإسلام: لقد أرسل الرسول ﷺ إلى الناس كافة بشيراً ونذيراً، وهذا الأمر أزعج المستشرقين، فحاولوا النيل من هذا المبدأ، ووصفوا القرآن الكريم بأنه (القرآن العربي) أي الكتاب الخاص بالعرب في مقابل الكتب المقدسة لليهود والنصرانية، فعند ترجمتهم للقرآن الكريم كتب المترجمون على الأغلفة عنوانات من قبيل: (كتاب محمد، قرآن محمد، القرآن العربي)، وهم يريدون التعمية على قارئ القرآن الكريم، فيسلبون رسالة الإسلام واحدة من أهم خصائصها وهي أنها رسالة عالمية لكل الناس، ويجعلونها خاصة بالعرب وحدهم.

---

[1] الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي: محمد البهي، ص ٤٢٦.

[2] البقرة: (١٢٠).

ثالثاً: التشكيك في صحة القرآن والطعن فيه، حتى ينصرف المسلمون عن الالتقاء على هدف واحد يجمعهم، من خلال إثارة الشبهات حول القرآن الكريم، وإرجاعه إلى مصادر يهودية ونصرانية بدلاً من إرجاع التشابه بين الإسلام وهاتين الديانتين إلى وحدة المصدر (وهذا ما سنناقشه بالتفصيل عند حديثنا عن الشبهات حول القرآن الكريم).

رابعاً: بعض وسائل المستشرقين لتحقيق أهدافهم:

لم يدع المستشرقون وسيلة لنشر أفكارهم إلا سلكوها، ولما وجدوا صعوبة في قهر المسلمين عن طريق القوة – بسبب روح الجهاد لديهم – سلكوا طريق الغزو الفكري الهادف إلى دحض العقائد الإسلامية وتزييفها [1].

---

[1] ومنها: تأليف الكتب في موضوعات مختلفة عن الإسلام واتجاهاته ورسوله وقرآنه، وفيها كثير من التحريف، وإصدار المجلات الخاصة ببحوثهم حول الإسلام وبلاده وشعوبه، وإرساليات التبشير إلى العالم الإسلامي لتزاول أعمالاً إنسانية في الظاهر كالمستشفيات والجمعيات والمدارس والملاجئ وغيرها، وإلقاء المحاضرات في الجامعات والجمعيات العلمية، ونشر مقالات في الصحف العربية والغربية.

انظر: أساليب الغزو الفكري، علي جريشة، ص ٢١.

المبحث الثاني

قضية الوحي وموقف المستشرقين منها

الوحي من الموضوعات التي يكثر فيها النقاش والجدال، لأن موضوعه متصل بالروح والإيمان بها، ومحدودية التصور البشري يعجز عن إدراك كنهها، قال تعالى: ﴿ **وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي** ﴾[1]، والإيمان به أساس الإيمان بكل شيء، فمسألة الإيمان بنزول القرآن وأنه من عند الله تعالى لا يسلم به ولا يقبله إلا من آمن بالوحي وأساليبه والاتصالات الروحية بالملأ الأعلى، والجدال الدائر في كل العصور حول المادة والروح ووضع كل قضية تحت التجربة والاختبار بدأت تتقشع سحابته وبدأ الأمر يتضح شيئاً فشيئاً، ولابد للعقل البشري أن يقر بمحدودية علمه، قال تعالى: ﴿ **وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلاَ قَلِيلاً** ﴾[2].

ولم يكن محمد ﷺ بدعاً من المرسلين، ولا كان أول نبي خوطب بالوحي، فالأنبياء جميعهم – عليهم الصلاة والسلام – كان حديثهم حديث السماء بوحي من الله سبحانه وتعالى؛ لأن مصدر الوحي واحد، وغاية الرسالات واحدة، قال تعالى: ﴿ **إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ**

---

(1) الإسراء: (٨٥).

(2) الشورى: (٥٢).

وَالأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَءَاتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا ۞ وَرُسُلاً قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلاً لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا ﴾[1].

وحرص القرآن الكريم على تسمية ما ينزل على قلب محمد ﷺ وحياً ليتوافق مع مدلول الوحي الذي أنزله الله على جميع النبيين، قال تعالى: ﴿ **وَمَا وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى ۞ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى ۞ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى ۞ إِنْ هُوَ إِلاَ وَحْيٌ يُوحَى** ﴾ [4].

وأنكر الله على العقلاء تعجبهم من هذا الوحي الذي لا ينبغي أن يُتعجب من حصوله لأن إدراكه سهل ميسر، قال تعالى: ﴿ **أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَى رَجُلٍ مِنْهُمْ أَنْ أَنْذِرِ النَّاسَ وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ قَالَ الْكَافِرُونَ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ مُبِينٌ** ﴾ [3].

والإنسان في أمس الحاجة إلى الوحي لأن الله تعالى خلق الإنسان من عنصرين أساسيين: عنصر الطين، وعنصر الروح، فعنصر الطين جعل الله بقاءه قائماً على الغذاء والدواء، وجعل الله في الإنسان ما يدعوه إلى تأمين نفسه بالفطرة الإنسانية، ولا يمكن للإنسان أن يعيش بدون إشباع الجانب الطيني.

---

(1) النساء: (١٦٣-١٦٤).

(4) النجم: (١-٤).

(3) يونس: (٢).

أما عنصر الروح فجعل غذاؤه من عند الله وحده ينزل من السماء وتتلقاه النفوس عن طريق الوحي، وحاجة الناس إلى الوحي أشد من حاجتهم للهواء والغذاء والماء، ويجب على الإنسان أن يغذي الجانب الروحي منه، وأن يحقق التوازن بين العنصرين السابقين، ولذا وصف القرآن الكريم الوحي بأنه روح، قال تعالى: ﴿ **وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلاَ الأَيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ** ﴾[1].

ومنظومة علوم القرآن متكاملة تبدأ بالوحي والإيمان به، فمن لم يؤمن بالوحي لم يؤمن ببقية علوم القرآن الكريم.

ولذا لابد لنا من إعطاء لمحة عن مفهوم الوحي وحقيقته.

أولاً: مفهوم الوحي وحقيقته:

معنى الوحي في اللغة: الوَحْيُ: الإشارة والكتابة والرسالة والإلهام والكلام الخفي وكل ما ألقيته إلى غيرك. يقال: وحيت إليه الكلام وأوحيت، ووحى وحياً، والوحي مصدر ومادة كلمته تدل على معنيين أصليين هما: الخفاء والسرعة[2].

ولذا قيل في معناه اللغوي: الإعلام الخفي السريع الخاص بمن يوجه إليه بحيث يخفى على غيره، ويطلق ويراد به الموحي (أي بمعنى اسم مفعول).

([1]) الشورى: (٥٢).

([2]) لسان العرب: لابن منظور، مادة (و ح ى).

ومن هذا فمعناه اللغوي يتناول الأمور الآتية [1]:

١ – الإلهام الفطري للإنسان كالوحي إلى أم موسى، قال تعالى: ﴿ **وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلاَ تَخَافِي وَلاَ تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ** ﴾ [2]

٢ – الإلهام الغرائزي للحيوان كالوحي إلى النحل، قال تعالى: ﴿ **وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ** ﴾ [3].

٣ – الإشارة السريعة على سبيل الرمز والإيماء كإيحاء زكريا عليه الصلاة والسلام فيما حكاه القرآن عنه، قال تعالى: ﴿ **فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا** ﴾ [4].

٤ – وساوس الشيطان وتزيينه خواطر الشر في نفس الإنسان، قال تعالى:

﴿ **وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْأِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا** ﴾[5]، وقال تعالى: ﴿ **وَإِنَّ**

---

(١) انظر: المفردات في غريب القرآن، للراغب الأصفهاني، ص ٥١٤، ومباحث في علوم القرآن، لصبحي الصالح، ص ٢٣.

(٢) القصص: (٧).

(٣) النحل: (٦٨).

(٤) مريم: (١١).

(٥) الأنعام: (١١٢).

الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴾[1].

٥ – ما يلقيه الله سبحانه وتعالى إلى ملائكته من أمر ليفعلوه، قال تعالى:

﴿ إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا ﴾[2].

معنى الوحي في الشرع:

اختلفت عبارات العلماء في تعريف الوحي، ومنها:

١ – هو الإعلام بالشرع، وقد يطلق الوحي ويراد به اسم المفعول، أي الموحي، وهو كلام الله المنزل على النبي ﷺ [3].

٢ – إعلام الله رسولاً من رسله أو نبياً من أنبيائه، ما يشاء من كلام أو معنى بطريقة تفيد النبي أو الرسول العلم اليقين القاطع بما أعلمه الله به "[4].

٣ – هو أن يعلم الله تعالى من اصطفاه من عباده كل ما أراد إطلاعه عليه من ألوان الهداية والعلم ولكن بطريقة سرية خفية غير معتادة للبشر [5].

---

(1) الأنعام: (١٢١).

(2) الأنفال: (١٢).

[3] فتح الباري شرح صحيح البخاري: لابن حجر (٩/١).

[4] العقيدة الإسلامية: لعبد الرحمن حبنكه، ص ٢٤٤.

[5] مناهل العرفان في علوم القرآن: للزرقاني، (٥٦/١).

٤ – هو " كلام الله تعالى المنزل على نبي من أنبيائه [٤]"، (وهو تعريف له بمعنى اسم المفعول أي الموحي).

٥ – هو " ما يكلف الله الملك حمله إلى النبي من آيات كتبه المنزلة [٥]".

٦ – ويعرفه الإمام محمد عبده بأنه " عرفان يجده الشخص من نفسه مع اليقين بأنه من قبل الله بواسطة أو بغير وساطة، والأول بصوت يسمعه أو بغير صوت "، كما يعرفه " بأنه إعلام الله تعالى لنبي من أنبيائه بحكم شرعي ونحوه [٦]"، وقد ناقش العلماء ما أورده الشيخ محمد عبده من تعريف للوحي وتفريق بين الوحي والإلهام مناقشة مستفيضة [٧].

٧ – ويعرف الفيلسوف اليهودي سبينوزا (Spinoza) (الوحي أو النبوة) بأنه: " المعرفة اليقينية التي يوحي الله بها إلى البشر عن شيء ما [٨].

وقد نقل مالك بن نبي ما ذهب إليه بعض علماء الدراسات الإسلامية من أن مصطلح الوحي – الذي يطلقه القرآن – يعبر عنه بـ (المكاشفة Intuition أو الوحي النفسي)، أو بـ (الإلهام Inspiration)،

---

[٤] العقيدة الإسلامية: لعبد الرحمن حبنكه، ص ٢٤٤.

[٥] مباحث في علوم القرآن: لصبحي الصالح، ص ٢٤.

[٦] ويفرق بينه وبين الإلهام بأن الإلهام هو " وجدان تستيقنه النفس فتنساق إلى ما يطلب على غير شعور منها من أين أتى؟ وهو أشبه بوجدان الجوع والعطش والحزن والسرور ". انظر: رسالة التوحيد، لمحمد عبده، ص ٦٩.

[٧] انظر: مباحث في علوم القرآن، لصبحي الصالح، ص ٢٦، والظاهرة القرآنية، لمالك بن نبي، ص ٢١٣، ومنهج المدرسة العقلية في التفسير، للرومي، ص ٤٨٤.

[٨] عن كتاب: مدخل إلى الدراسات الإسلامية، محمد بلتاجي، ص ٨٤.

إلا أن كلمة الإلهام ليس لها أي مدلول نفسي محدد، مع أنها مستخدمة عموماً لكي ترد معنى الوحي إلى ميدان علم النفس.

ويدور معنى المكاشفة أو الوحي النفسي من الناحية النفسية حول معرفة مباشرة لموضوع قابل للتفكير، أو خاض فيه التفكير فعلاً، بينما معنى الوحي الإلهي يجب أن يأخذ معنى المعرفة التلقائية والمطلقة لموضوع لا يشغل التفكير، وأيضاً غير قابل للتفكير.

والمكاشفة لا تنتج عند صاحبها يقيناً كاملاً، أي بعض ما يؤدي إلى ما يسمى احتمالاً، والاحتمال معرفة يأتي برهانها بعدها، هذه الدرجة من الشك هي التي تميز المكاشفة عن الوحي من الناحية النفسية.

فالوحي يقين النبي ﷺ مع وثوقه بأن المعرفة الموحي بها غير شخصية وطارئة، وخارجة عن ذاته، ولذا كان ﷺ يميز ما ينطق به بين نوعي الوحي القرآن الكريم والحديث النبوي – باعتباره وحياً ﴿ **وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى ۞ إِنْ هُوَ إِلاَ وَحْيٌ يُوحَى** ﴾ [1]، فيأمر بكتابة القرآن الكريم، ويستودع الحديث النبوي ذاكرة الصحابة رضي الله عنهم [2].

والوحي بالمعنى المشار إليه يختص بالأنبياء، وليس الإلهام أو الكشف كذلك، فهما عامان وشائعان بين الناس.

وفي دائرة المعارف الإسلامية يعتبر المستشرق الألماني الدكتور تيودور نولدكه بين الوحي خاصاً بالأنبياء، والإلهام خاصاً بالأولياء [3].

---

[1] النجم: (٣-٤).

[2] الظاهرة القرآنية: لمالك بن نبي، ص ٢٠٩.

[3] دائرة المعارف الإسلامية الألمانية: لنولدكه، المجلد التاسع، مادة: الدين.

ونقل الدكتور صبحي الصالح تعريف الوحي عند الدكتور جورج بوست – واضع قاموس الكتاب المقدس – بأنه: " هو حلول روح الله في روح الكتاب الملهمين لإطلاعهم على الحقائق الروحية والأخبار الغيبية، من غير أن يفقد هؤلاء الكتاب بالوحي شيئاً من شخصياتهم، فلكل منهم نمطه في التأليف، وأسلوبه في التعبير " [1].

[1] مباحث في علوم القرآن: لصبحي الصالح، ص ٢٥.

ثانياً: لماذا ركز المستشرقون على قضية الوحي (القرآن الكريم)؟

قبل الحديث عن الشبهات التي أثيرت من قبل المستشرقين حول الوحي وصحة مصدرية القرآن الكريم لابد لنا من إيضاح النقاط الآتية:

- إن من أبرز صفات المؤمنين الإيمان بالغيب، قال تعالى: ﴿ **ذَلِكَ الْكِتَابُ لاَ رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ ۞ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ** ﴾[1]، والإيمان بالوحي من أهم قضايا الإيمان بالغيب.
- الوحي من الأمور الاعتقادية التي لا يؤمن بها بعض المستشرقين، لأن مناهجهم التي يعتمدونها في البحث لا تعترف بالأدلة الشرعية، وإنما يؤمنون بالعقل على الطريقة التي يستسيغوها وهي المتصفة بالمادية، والعلم الذي تواضعوا عليه في اصطلاحهم الحديث: وهو جملة المعارف اليقينية التي أنتجها دستور البحث الجديد في الوجود وكائناته من جعل الشك أساساً للبحث [2].

ولذا نالت قضية الوحي اهتماماً كبيراً من المستشرقين، وحاولوا بشتى الوسائل الطعن في الإسلام من خلال هذا الأمر بمحاولة تفسير الوحي الذي نزل على سيدنا محمد ﷺ بشتى التفسيرات المادية والعقلانية، ومن العجيب أن بعضهم يؤمن بالوحي الذي نزل على الأنبياء السابقين وعندما يتعلق الأمر بالرسول ﷺ فإنهم يكفرون.

---

[1] البقرة: (٢-٣).

[2] انظر: مناهل العرفان في علوم القرآن الكريم، للزرقاني، ومدخل إلى الدراسات الإسلامية، ص ٩٠.

ولا تكاد شبهات المستشرقين قديماً أو حديثاً تخرج كثيراً عن الشبهات التي أثارها كفار قريش سوى أن المستشرقين قدموا شبهاتهم بطريقة أكثر تفصيلاً، وصبغوها بالصبغة العلمية الأكاديمية، وهم جميعاً يسعون إلى صد الناس عن القرآن الكريم، وقد صوَّر القرآن الكريم ما كان يثيروه كفار قريش من التصفيق والصفير عند تلاوة محمد ﷺ للقرآن الكريم، قال تعالى: ﴿ **وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لاَ تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْءَانِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ** ﴾ [1]، وهذا ما يقوله المنصرِّ (وليم جيفورد بالكراف): "متى توارى القرآن ومدينة مكة عن بلاد العرب يمكننا حينئذ أن نرى العربي يتدرج في سبيل الحضارة التي لم يبعده عنها إلا محمد وكتابه [2]"، ذلك لأن موقف القرآن الكريم من أهل الكتاب ومن كتبهم واضح، فهو مهيمن على ما سبقه من كتب سماوية، قال تعالى: ﴿ **وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلاَ تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ** ﴾ [3]، وكشف ما قاموا به من التحريف والتبديل للكتب السماوية المنزلة إليهم، وقال تعالى: ﴿**فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلاً فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا**

---

[1] فصلت: (٢٦).

[2] عن كتاب: دمروا الإسلام وأبيدوا أهله، لجلال العالم، ص ٦٣.

[3] المائدة: (٤٨). [4]

يَكْسِبُونَ ﴾ [1]، كما أن القرآن الكريم أوضح زيف خصوصيتهم عند الله، قال تعالى: **﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴾**[2].

([1])البقرة: (٧٩).

([2])المائدة: (١٨).

ثالثاً: شبهات المستشرقين حول الوحي والرد عليها [1]:

(١) شبهة الوحي النفسي والرد عليها:

يصور المستشرق (بروكلمان) لنا الوحي النفسي الذي يزعمه هو ومن قال به فيقول: (بينما كان بعض معاصري النبي، كأمية بن أبي الصلت، شاعر الطائف، وهي بلدة بحذاء مكة، يكتفون بوحدانية عامة، كان محمد يأخذ بأسباب التحنث والتنسك، ويسترسل في تأملاته حول خلاصة الروح، ليالي بطولها في غار حراء قرب مكة، لقد تحقق عنده أن عقيدة مواطنيه الوثنية فاسدة فارغة، فكان يضج في نفسه هذا السؤال، إلى متى يمدهم الله في ضلالهم، مادام هو عز وجل قد تجلى، آخر الأمر، للشعوب الأخرى بواسطة أنبيائه؟ وهكذا نضجت في نفسه الفكرة أنه مدعو إلى أداء هذه الرسالة، رسالة النبوة، ولكن حياءه الفطري حال بينه وبين إعلان نبوته فترة غير قصيرة، ولم تتبدد شكوكه إلا بعد أن خضع لإحدى الخبرات الخارقة في غار حراء. ذلك بأن طائفاً تجلى له هنالك يوماً، هو الملك جبريل، على ما تمثله محمد فيما بعد، فأوحى إليه أن الله قد اختاره لهداية الأمة، وآمنت زوجه في الحال برسالته المقدسة، وتحرر هو نفسه من آخر شكوكه بعد أن تكررت الحالات التي ناداه فيها الصوت الإلهي وتكاثرت. ولم تكد هذه الحالات تنقض حتى أعلن ما ظن أنه قد سمعه كوحي من عند الله) [2].

---

[1] راجع: المستشرقون والدراسات العربية والإسلامية – المؤتمر الدولي الثاني بجامعة المنيا، كلية دار العلوم، جـ١ ص ٧-٢٩.

[2] تاريخ الشعوب الإسلامية: كارل بروكلمان، ص ٣٦، ط سادسة، دار العلم، بيروت.

ففي هذا القول يزعم (بروكلمان) أن الوحي الذي جاء رسول الله ﷺ أمر ذاتي من داخل نفسه، وخياله الواسع، وعقله المتوقد ذكاء.

والمتأمل في هذه الشبهة يرى أنها مع طعنها في الوحي المنزل على رسول الله ﷺ تطعن في عصمته فيما بلغه من الوحي عن ربه عز وجل.

ويمكن الرد على هذه الشبهة بالآتي:

أولاً: يقول محمد عبد الله دراز: (إن هذا الرأي الذي يروجه الملحدون باسم " الوحي النفسي " زاعمين أنهم بهذه التسمية، قد جاءونا برأي علمي جديد، وما هو بجديد، وإنما هو الرأي الجاهلي القديم، لا يختلف في جملته ولا في تفصيله، فقد صوروا – أهل الجاهلية – النبي ﷺ رجلاً ذا خيال واسع وإحساس عميق، فهو إذن شاعر، ثم زادوا فجعلوا وجدانه يطغي كثيراً على حواسه، حتى يخيل إليه أنه يرى ويسمع شخصاً يكلمه، وما ذاك الذي يراه ويسمعه إلا صورة أخيلته ووجداناته، فهو إذن لجنون أو أضغاث الأحلام، فأي جديد ترى في هذا كله؟ أليس كله حديثاً معاداً يضاهئون به قول جهال قريش؟ وهكذا كان الإلحاد في ثوبه الجديد صورة منسوخة بل ممسوخة منه في أقدم أثوابه) [1].

ثانياً: إن صورة الوحي النفسي كما صوروه مبنية على وجود معلومات وأفكار مدخرة في العقل الباطن، وأنها تظهر في صورة رؤى ثم تقوى فيخيل لصاحبها أنها حقائق خارجية.

---

[1] النبأ العظيم: محمد عبد الله دراز، ص ٦٧.

وهنا تساؤل: هل ما جاء به محمد ﷺ من دين يتضمن العقيدة والشريعة بما فيه من القصص والأخلاق، والمعاملات، والحدود، كان مركوزاً أو مدخراً في نفسه ﷺ؟

هذا ما تنكره العقول بداهة، لأن ما جاء به ﷺ من تعليمات عن طريق الوحي من الله تصحيحاً للعقائد التي كانت سائدة آنذاك من الشرك والوثنية، والمجوسية، والتأليه، والتثليث، والصلب، وإنكار البعث، واليوم الآخر، وكذلك التشريعات التي جاء النبي ﷺ لم تعرف في الشرائع السابقة عليه.

وكذلك قد اشتمل الوحي الذي جاء للنبي ﷺ، على أسرار في الكون والأنفس والآفات، لم تخطر على بال بشر، ولم يظهر تأويلها والوقوف على بعض أسرارها إلا بعد تقدم العلوم والمعارف، فكيف تكون هذه الأسرار من داخل نفس النبي ﷺ وهي لم تخطر له على بال؟

ثالثاً: أكد الله تعالى في القرآن الكريم على أن الوحي من عنده تعالى، ومن ثم فهو أمر خارج عن نفس النبي ﷺ وليس نابعاً من داخلها، قال تعالى: ﴿ **وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۞ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ۞ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ ۞ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ** ﴾ [1].

ومن هنا يتبين أن الوحي شيء ومحمد ﷺ شيء آخر، فكيف يكون من نفس النبي أو خيالاً فيها، وهو منفصل عن ذاته ﷺ، وقد قال الله تعالى

---

[1] الشعراء: (١٩٢-١٩٥). [2] التكوير: (١٩-٢٢).

في صفاته: ﴿ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ۞ ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ ۞ مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ ﴾ [٢].

يقول الإمام الرازي في معنى هذه الآيات: واعلم أنه تعالى وصف جبريل ههنا بصفات ست: أولها رسول، وثانيها: أنه كريم، وثالثها: ذي قوة أي حمله على الشدة، ورابعها: عند ذي العرش مكين، وهذه العندية ليست عندية مكان، ولا جهة، وإنما عندية الإكرام والتشريف والتعظيم، وأم مكين فهو ذو الجاه الذي يعطي ما يسأل، وخامسها: مطاع أي عند الله مطاع في ملائكته المقربين وهذا تعظيماً للأمانة، وسادسها: أمين قد عصمه الله من الخيانة والزلل [٣].

رابعاً: أنه ليس في الوحي إلى النبي ﷺ ما يستنبط من العقل والتفكير، أو ما يدرك بالوجدان والشعور حتى يمكن القول بأن النبي ﷺ أتى به من عند نفسه.

إن في الوحي من المعاني النقلية البحتة ما لا مجال فيها للذكاء والاستنباط، ولا سبيل إلى علمها لمن غاب عنها إلا بالدراسة والتلقي والتعليم، والمعايشة.

ومن ذلك مثلاً ما جاء به من أنباء ما قد سبق التي لم يعاصرها النبي، وما فصله منها، على وجهه الصحيح.

إن دلائل التاريخ والعقل لترد على هذه الفرية التي افتروها في حقه ﷺ (فأما التاريخ فإنه يحدثنا – مثلاً – بأن ظهور الفرس على الروم كان

---

[٣] راجع: مفاتيح الغيب، فخر الدين الرازي، ج٣١ ص ٢٤٤، ٢٤٥، ط أولى، دار الغد العربي، القاهرة.

في سنة ٦١٠م وذلك بعد رحلة محمد ﷺ الخيرة إلى الشام بأربعة عشرة سنة، وقبل الوحي بسنة، ثم إن التاريخ أنبأنا أن دولة الروم كانت محتلة معتلة في ذلك العهد، بحيث لم يكن أحد يرجو أن تعود لها الكرة والغلب على الفرس، حتى إن أهل مكة أنفسهم هزءوا بالخبر، وراهن أبو بكر أحدهم على ذلك، وأجازه النبي ﷺ فربح الرهان. وأما العقل فإنه يحكم بأن مثل محمد ﷺ في سمو إدراكه المتفق عليه، لا يمكن أن يجزم بأن الغلب سيعود للروم على الفرس في مدة بضع سنين، لا من قبل الرأي ولا من الوحي النفسي المستمدة من الأخبار غير الموثوق بها، وقد صح أن انتصار الروم وقع سنة ٦٢٢م، وكان وحي التبليغ للنبي ﷺ سنة ٦١٤م، فإذا فرضنا أن سورة الروم نزلت في هذه السنة، يكون النصر قد حصل بعد ثمان سنين، وإن كان في السنة الثانية تكون المدة سبع سنين، وهو المعتمد في التفسير، والبضع يطلق على ما بين الثلاث والتسع) [١].

فهل يقال: إن هذا التاريخ يمكن وضعه بإعمال الفكر، ودقة الفراسة؟ أم يقال – عن طريق المعاندة والمكابرة –: إن محمداً ﷺ قد عاصر تلك الأمم الخالية، وشهد هذه الوقائع مع أهلها شهادة عيان، أو يقال: إنه ﷺ قد ورث كتب الأولين، فعكف على دراستها حتى أصبح من الراسخين في علم دقائقها؟

إنه لا يسعهم مثل هذه الأقوال جميعاً، وإنما هي المعاندة والتشكيك في الحقيقة التي لا يماري فيها عاقل، قال تعالى: ﴿ **تِلْكَ مِنْ**

---

[١] الوحي المحمدي: محمد رشيد رضا، ص ٩١.

أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلاَ قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ ﴾ [1]، وقال تعالى: **﴿ وَمَا كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلاَ تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذًا لاَرْتَابَ الْمُبْطِلُونَ ﴾** [2].

بل إن نصوص القرآن الكريم صريحة في أنه ﷺ لم يكن يعرف شيئاً من أخبار الرسل وقصصهم قبل الوحي، وقد اعترف المستشرقون أنفسهم بأنه ﷺ لم يكن ليكذب على أحد فضلاً عن الكذب على الله تعالى، كما اعترف بذلك أبو جهل نفسه.

خامساً: إن النبيﷺ لم يكن يطمع في الحصول على النبوة، ولم يرد في الأخبار الصحيحة أنه ﷺ كان يرجو أن يكون هو النبي المنتظر الذي يتحدث عنه علماء اليهود والنصارى قبل بعثته، حتى يخيل الوحي إلى نفسه كما يدعي أصحاب هذه الشبهة، وقد نفى القرآن ذلك عنه في قوله تعالى: **﴿ وَمَا كُنْتَ تَرْجُو أَنْ يُلْقَى إِلَيْكَ الْكِتَابُ إِلاَ رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ﴾**[3]، لكن ألقي إليك رحمة من ربك بك، وبالناس كلهم، لا كسب لك فيه بعلم ولا عمل، ولا رجاء ولا أمل، فهو نعمة من الله وفضل[4].

سادساً: جعل الله تعالى استعداد محمد ﷺ لتلقي الوحي والنبوة أمراً فطرياً وهبياً، ومن ثم فليس الوحي والنبوة أمراً كسبياً يناله المرء بسعيه

---

[1] هود: (٤٩). [2] العنكبوت: (٤٨).

[3] القصص: (٨٦).

[4] راجع: الوحي المحمدي، ص ٩٣.

وكسبه، بل إن ذلك اصطفاء من الله تعالى يختص به من يشاء من عباده، قال تعالى: ﴿ **اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ** ﴾[1]، وقال تعالى: ﴿ **وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ** ﴾[2]، ولما قال المشركون ما حكاه القرآن الكريم عنهم في قوله تعالى: ﴿ **وَقَالُوا لَوْلاَ نُزِّلَ هَذَا الْقُرْءانُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ** ﴾[3]، أجابهم الله تعالى بقوله: ﴿ **أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَةَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحْمَةُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ** ﴾[4].

وأما اختلاؤه ﷺ وتعبده في الغار عام الوحي، فلا شك في أنه كان عملاً كسبياً مقوياً لذلك الاستعداد الوهبي، ومعيناً له على العزلة وعدم مشاركة المشركين في شيء من عباداتهم ولا عاداتهم، ولكنه لم يكن يقصد به الاستعداد للنبوة، لأنه لو كان لأجلها لاعتقد حين رأى الملك أو عقب رؤيته حصول مأموله، وتحقق رجائه، ولم يخف منه على نفسه.

---

(1) الأنعام: (١٢٤).
(2) البقرة: (١٠٥).
(3) الزخرف: (٣١).
(4) الزخرف: (٣٢).

وإنما كان الباعث لهذا الاختلاء والتحنث، اشتداد الوحشة من سوء حال الناس في عقائدهم وأخلاقهم، والهرب منها، إلى الإنس بالله تعالى والرجاء في هدايته إلى المخرج منها [1].

وقد جعل الله تعالى النبوة في محمد ﷺ، كما جعلها في الرسل قبله، واصطفاه لذلك، فأي غرابة وعجب في ذلك؟

سابعاً: إن ما حدث للنبي ﷺ حين نزول الوحي عليه يؤكد أن ذلك لم يكن حدثاً نفسياً يمكن إحضاره كما يدعي أصحاب هذه الشبهة، والدليل على ذلك ما كان يعتريه من أعراض لا يستطيع السيطرة عليها، كاحمرار وجهه، وتتابع أنفاسه، والعرق الذي يتصبب منه في اليوم الشديد البرد، وثقل جسمه، وصوت دوي النحل الذي يسمعه الصحابة عند وجهه.

أضف إلى ذلك ما انتباه ﷺ من حالة الخوف حينما نزل عليه الوحي في مبدأ أمره، كما جاء في قوله ﷺ: " لقد خشيت على نفسي "، وقوله: " زملوني زملوني، حتى ذهب عنه الورع "[2]، وفي رواية قوله: " فإذا الذي جاءني بحراء جالساً على كرسي بين السماء والأرض، فجئثت منه رعباً ".

ومما يدل على أن النبي ﷺ لا قدرة له على إحضار الوحي وجلبه، كما يدعي هؤلاء، فتور الوحي وانقطاعه عنه، فترة من الزمن، حتى شق

---

[1] راجع: الوحي المحمدي، ص ٩٩.

[2] أخرجه البخاري في صحيحه، ج١ ص ٣٠، ٣١، ج٨ ص ٥٨٥، ومسلم في صحيحه ج١، ص ٤٧٤، ٤٧٥.

ذلك عليه وأحزنه، وأقض مضجعه، ثم جاءه جبريل بعد ذلك بقوله: **﴿ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى ﴾** [1].

وأيضاً حينما أبطأ الوحي في النزول على رسول الله ﷺ ثم نزل فقال: رسول الله ﷺ يا جبريل! ما يمنعك أن تزورنا أكثر مما تزرنا؟ فنزلت الآية الكريمة: **﴿ وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلاَ بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴾** [2][3].

ومن كل ما سبق من ردود يتضح لنا أن قدح (بروكلمان) ومن نحا نحوه في إثبات الوحي لمحمد ﷺ وعصمته فيما بلغ، هو قدح في ديانته وفي رسوله الذي يؤمن به، ولعل (بروكلمان) يرى كما يرى غيره من أهل ملته، أن الوحي هو حلول روح الله في روح الموحي إليه، ولأجل ذلك ألهوا رسولهم، وهذا تعريف خاطئ للوحي، وقول فاسد، بل هو كفر وإلحاد، فالله لا يحل في غيره، ولا يحل فيه غيره[4].

وهكذا ترى أن ما زعموه من شبهة الوحي النفسي، اختلاق مبعثه الحقد على الإسلام والمسلمين وإرادة إبطال عصمته ﷺ فيما بلغ من

([1])الضحى: (٣).

([2]) مريم: (٦٤).

([3])أخرجه البخاري في صحيحه، ج٦ ص ٣٥٢، ج٨ ص ٢٨٢، ج١٣ ص ٤٤٥، من حديث ابن عباس ﷺ.

([4])راجع: مناهج المستشرقين في الدراسات العربية الإسلامية، لجماعة من العلماء، ج١ ص ٢٧ ط ١٩٨٥م، مكتب التربية العربية بالرياض.

الوحي، قال تعالى: ﴿ **يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ** ﴾[1].

(٢) شبهة أن الوحي عبارة عن أمراض نفسية وعقلية والرد عليها:

زعم بعض المستشرقين أن النبيﷺ كان مصاباً ببعض الأمراض العقلية النفسية التي أثرت عليه تأثيراً بالغاً، وذهبوا إلى تحديد ذلك فقالوا: إنه كان مريضاً بالصرع، وأن ما يعتريه في ساعات الوحي، إنما هي نوبات الصرع التي كان يسمع أثناءها كلاماً ردده فأصبح قرآناً، ونتج من ذلك ما ادعى أنه وحي من الله.

قال (جولد تسيهر) [2]: (وفي خلال النصف الأول من حياته اضطرته مشاغله إلى الاتصال بأوساط استقى منها أفكاراً أخذ يجترها في قرارة نفسه، وهو منطو في تأملاته أثناء عزلته، ولميل إدراكه وشعوره للتأملات المجردة، والتي يلمح فيها أثر حالته المرضية، نراه ينساق ضد العقلية الدينية والأخلاقية لقومه الأقربين والأبعدين) [3].

فما حقيقة هذه الأمراض، وما نوعيتها؟ هذا ما نراه في إجابة بعض المستشرقين.

([1])الصف: (٨).

[2] مستشرق مجري يهودي، عرف بعدائه للإسلام، وبخطورة كتاباته عنه، توفي سنة ١٩٢١م، راجع: الأعلام للزركلي، ج١ ص ٢٨٤.

[3] العقيدة والشريعة في الإسلام: اجناس جولد تسيهر، ترجمة د. محمد يوسف موسى وآخرين، ط ١٩٤٦، دار الرائد العربي، بيروت، ص ٧.

فقد زعم (شبرنجر) [١] و(جوستاف فايل) [٢] وغيرهما أن محمداً كان مصاباً بحالات من الصرع يغيب فيها عن الناس وعما حوله، ويظل ملقي على أثرها بين الجبال لمدة طويلة، يسمع له على إثرها غطيط كغطيط النائم، ويتصبب عرقاً، ويثقل جسمه [٣]، وتعتريه التشنجات، وتخرج منه الرغوة، فإذا أفاق ذكر أنه أوحى إليه، وتلا على أتباعه ما يزعم أنه وحي من الله، وهو ليس وحياً وإنما هي نوبات صرع واضطرابات عصبية [٤].

وبعضهم اعتبرها حالة هيستيريا، وتهيجاً عصبياً، يظهر عليه أثرها في مزاجه العصبي القلق، ونفسه كثيرة العواصف بشكل غامض، حتى كان يصل به الأمر أن لا يفرق بين تعاقب الليل والنهار، وقد هزل على إثرها جسمه، وشحب لونه، وخارت قواه[٥].

ويذهب بعضهم إلى أنه نوع من الهوس فيقول: (ويجب عد محمد من فصيلة المتهوسين من الناحية العلمية كما هو واضح، وذلك كأكثر مؤسسي الديانات)[٦].

---

[١] هو: الويس اشبرنجر، مستشرق نمساوي الأصل تجنس بالجنسية البريطانية، عمل أستاذاً للغات الشرقية في جامعة برن بسويسرا، توفي سنة ١٨٩٣م، راجع: الأعلام، ج٢ ص٨، والمستشرقون، لنجيب العقيقي، ج٢ ص ٦٣١، ٦٣٢.

[٢] مستشرق ألماني، كان أستاذاً للغات الشرقية، توفي سنة ١٨٨٩م، راجع: آراء المستشرقين حول القرآن وتفسيره، د. عمر إبراهيم رضوان، ج١ ص ٢٢٩، ط أولى، ١٩٩٢م، دار طيبة، السعودية.

[٣] راجع: آراء المستشرقون حول القرآن وتفسيره، ج١ ص ٣٩٨.

[٤] راجع: الإسلام والمستشرقين، لنخبة من العلماء، ص ٢٠٢، والاستشراق دراسة تحليلية تقويمية، محمد عبد الله الشرقاوي، ص ١٣٥.

[٥] راجع: الإسلام في تصورات الغرب، لمحمود حمدي زقزوق، ص ٩٢، وكذا سيرة الرسول ﷺ في تصورات الغربيين، لمحمود زقزوق، ص ٢٠، وكذا الوحي القرآني في المنظور الاستشراقي ونقده، لمحمود ماضي، ص ١٠٩.

[٦] حضارة العرب: جوستاف لبون، ترجمة عادل زعيتر، ص ١١٤، ط الهيئة العامة للكتاب، القاهرة.

وذهب (تيودور نولدكه) [1]إلى أن محمداً ﷺ كانت تنتابه نوبات عنيفة من الانفعال جعلته يظن أنه تحت تأثير إلهي ويظن أنه يتلقى وحياً[2].

والمتأمل فيما جاء في هذه الشبهة من افتراءات يجد أنها لا تطعن في الوحي المنزل على رسول الله ﷺ فقط، بل تطعن في سلامة عقله وبدنه، وهذا ما يتنافى مع عصمته ﷺ.

ويمكن الرد على هذه الشبهة من عدة وجوه:

الأول: أن ما قاله المستشرقون في هذه الشبهة ليس أمراً جديداً، فهم يرددون ما قد سبق لمشركي مكة أن اتخذوا موقفاً مماثلاً من النبي محمدﷺ، كما اتخذه المعاندون من أقوام الأنبياء السابقين مواقف مشابهة، ويحكي القرآن الكريم ذلك فيقول: ﴿**كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلاَ قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ۞ أَتَوَاصَوْا بِهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ**﴾[3].

وقوله: ﴿ **كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدُجِرَ** ﴾[4]، وقوله: ﴿ **وَقَالُوا يَاأَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ**

([1]) مستشرق ألماني، عمل أستاذاً للغات السامية والتاريخ الإسلامي، وكان متضلعاً في لغات كثيرة كالعربية والسامية والفارسية والتركية والألمانية والإنجليزية والفرنسية، توفي سنة ١٩٣٠.

([2])راجع: الاستشراق دراسة تحليلية تقويمية، محمد عبد الله الشرقاوي، ص ١٣٦.

([3])الذاريات: (٥٢-٥٣).

([4])القمر: (٩).

لَمَجْنُونٌ﴾[1]. وهذا الافتراء هو نفسه ما رمت بها قريش رسول الله ﷺ فبرأه الله مما قالوا، بقوله سبحانه: **﴿فَذَكِّرْ فَمَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلاَ مَجْنُونٍ﴾** [2].

وقد تحدى الله المشركين الذين عرفوه وعايشوه وخبروا حاله أن يثبتوا عليه جنوناً أو اختلال عقل، وذلك في قوله تعالى: **﴿ قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُمْ بِوَاحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَى وَفُرَادَى ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُمْ مِنْ جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلاَ نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴾**[3].

وحول معنى هذه الآية يقول الإمام الرازي: (أن يثبت الصفة التي هي أشرف الصفات في البشر بنفي أخس الصفات، فإنه لو قال أولاً هو رسول الله كانوا يقولون فيه النزاع، فإذا قال ما هو مجنون لم يسعهم إنكار ذلك لعلمهم بعلو شأنه وحاله في قوة لسانه وبنيانه، فإذا ساعدوا على ذلك لزمتهم المسألة، ولهذا قال بعده إن هو إلا نذير، يعني إما هو به جنة، أو هو رسول، لكن تبين أنه ليس به جنة، فهو نذير)[4].

وفي قوله تعالى: **﴿ مَا بِصَاحِبِكُمْ مِنْ جِنَّةٍ ﴾** يقول الأستاذ سيد قطب: (فما عرفتم عنه إلا العقل والتدبر والرزانة، وما يقول شيئاً يدعو إلى التظنن بعقله ورشده، إن هو إلا القول المحكم القوي المبين)[5].

---

(1) الحجر: (٦).
(2) الطور: (٢٩).
(3) سبأ: (٤٦).
(4) التفسير الكبير: ج١٣، ص ١٥.
(5) في ظلال القرآن: ج٦، ص ٦٥٩.

ومما يلفت الأنظار هنا التعبير القرآني عنه ﷺ (بصاحبكم) للتأكيد على أن حاله معروف بينهم، بقوة العقل، ورزانة الحلم، وسداد القول والفعل.

الثاني: أن النبي ﷺ كان أصح الناس بدناً، وأقواهم جسداً، وأكملهم عقلاً، وأشدهم فطنة، وأصوبهم قولاً، وأحكمهم فعلاً، وأوصافه ﷺ التي تناقلها الرواة الثقات تدل على البطولة الجسمانية، وقد بلغ من قوته أنه صارع (ركانة بن عبد يزيد) [١] فصرعه، وكان (ركانة) هذا مصارعاً ماهراً، ما قدر أحد أن يأتي بجانبه إلى الأرض، ولما عرض عليه النبي ﷺ الإسلام قال صارعني، فإن أنت غلبتني آمنت أنك رسول الله، فتصارعا، فصرعه النبي ﷺ، فقيل: إنه أسلم عقب ذلك [٢].

وبلغ من شجاعته ﷺ أنه كان يثبت في الميدان حتى يفر منه الشجعان، ويفزع الخلق، ويشتد الأمر ويقول كما حدث في غزوة حنين: " أنا النبي لا أكذب [٣]، أنا بن عبد المطلب "، ويقول: " إلى أيها الناس، هلم إلي، أنا رسول الله، أنا محمد بن عبد الله " [٤]، ولا يزال كذلك حتى ينصره الله في المعركة.

---

(١) هو ركانة بن يزيد بن هاشم القرشي، كان من أشد الناس، مات في أول خلافة معاوية سنة ٤٢ هـ.

(٢) راجع: الإصابة في تاريخ الصحابة، ابن حجر العسقلاني، ج٢ ص ٤٩٧، ط أولى، ١٩٩٢، دار الجيل، بيروت.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، ج٣ ص ١٠٥١، ١٠٥٤، ١٠٧١، ١١٠٧، ج٤ ص١٥٦٨، ومسلم في صحيحه، ج٣ ص١٤٠٠، ١٤٠١ من حديث البراء بن عازب ﷺ.

(٤) أخرجه أحمد في مسنده، ج٣ ص ٣٧٦، وابن حبان في صحيحه، ج١١ ص ٩٥، وكليهما من حديث جابر ﷺ.

أضف إلى ذلك أن المصاب بالصرع لا يكون على هذه القوة، وها هي شهادة الأعداء:

يقول المستشرق (ر. ف. بودلي) [١]: إن المصاب بالصرع، لا يفيق منه، وقد ذخر عقله بأفكار لامعة، وإنه لا يصاب بالصرع من كان في مثل الصحة التي يتمتع بها محمد ﷺ حتى قبل وفاته بأسبوع واحد، وما كان الصرع ليجعل من أحد نبياً أو مشرعاً، وما رفع الصرع أحد إلى مراكز التقدير والسلطان يوماً، وكان من تنتابه مثل هذه الحالات في الأزمنة الغابرة يعتبر مجنوناً أو به مس من الجن، ولو كان هناك من يوصف بالعقل ورجاحته فهو محمد ﷺ، ولا شك، وينفي عن الرسول ﷺ تلك الفرية الظالمة [٢].

ويقول المستشرق (ماكس مايرهوف) [٣]: (أراد بعضهم أن يرى في محمد رجلاً مصاباً بمرض عصبي أو بداء الصرع، ولكن تاريخ حياته من أوله إلى آخره، ليس فيه شيء يدل على هذا، كما أن ما قام به فيما بعد من التشريع والإدارة يناقض هذا القول) [٤].

الثالث: أن الفرق واضحاً بين صور الوحي الذي كان يتلقاه النبي ﷺ وبين أعراض مرض الصرع الذي زعمه هؤلاء المستشرقون غير

---

[١] مستشرق إنجليزي مسيحي زار الجزيرة العربية ودرس عادات القبائل فيها.

[٢] راجع: المستشرقون والإسلام، زكريا هاشم، ص٣١٦، ط ١٩٦٥، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بالقاهرة.

[٣] مستشرق ألماني، من كبار أطباء العيون العالميين، وفي طليعة مؤرخي الطب العربي، تعد اكتشافاته فيه، وكتاباته عنه، بالفرنسية والإنجليزية والألمانية، مرجعاً دقيقاً وافياً، توفي بالقاهرة عام ١٩٤٥م.

[٤] الإسلام والرسول في نظر منصفي الشرق والغرب: أحمد آل بوطامي، ص ١٦٢، ط ثالثة، مطبع قطر الوطنية بالدوحة.

المنصفين، ذلك أن مريض الصرع يصاب بآلام حادة في كافة أعضاء جسمه، يحس بها إذا ما انتهت نوبة الصرع، ويظل حزيناً كاسف البال بسببها، وكثيراً ما يحاول مرضى الصرع الانتحار من قسوة ما يعانون من آلام في النوبات، فلو كان ما يعتري النبي ﷺ صرعاً لأسف لذلك وحزن لوقوعه، ولسعد بانقطاع هذه الحالة عنه، ولكن الأمر بخلاف ذلك.

فحينما انقطع الوحي عن الرسول ﷺ مدة حزن لذلك حزناً شديداً، وكان يذهب إلى غار حراء وقمم الجبال عسى أن يعثر على الملك الذي جاءه بحراء، وبقى محزون النفس من هذه الحال، حتى سرى عنه ربه، بوصل ما انفصم من الوحي[1].

الرابع: أن الوحي لم يكن يأت النبي ﷺ على هذه الحال التي قالوا عنها أنها صرع إلا أحياناً قليلة، وفي غالب الحالات كان يأتيه وهو في حالته الطبيعية، ويدل على ذلك الحديث الذي رواه البخاري عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، أن الحارث بن هشام سأل رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله كيف يأتيك الوحي؟ قال ﷺ: " أحياناً يأتيني مثل صلصلة الجرس وهو على أشده علي، فيفصم عني، وقد وعيت عنه ما قال، وأحياناً يتمثل لي الملك رجلاً فيكلمني فأعي ما يقول، قالت عائشة رضي الله عنها: ولقد رأيته ينزل عليه

---

[1] راجع: السيرة النبوية في ضوء القرآن والسنة، د. محمد أبو شهبة، ج١ ص ٢٧٥، ط أولى، دار القلم، بيروت.

الوحي في اليوم الشديد البرد فيفصم عنه وإن جبينه ليتفصد عرقاً "[1].

أضف إلى ذلك أن جبريل عليه السلام كان يأتي إلى النبي ﷺ في صورة الرجل فيحادثه أمام الحاضرين وهم يشاهدون ذلك، كما ثبت في حديث جبريل المشهور الذي سأل فيه النبي ﷺ عن الإيمان والإسلام والإحسان. . . . [2] وكما جاء في حديث ابن عمر من إتيان جبريل عليه السلام لرسول الله ﷺ في صورة الصحابي الجليل دحية الكلبي [3].

فهنا نرى فيما ورد عن رسول الله ﷺ، أنه لا يظهر عليه شيء مما ذكر من أعراض هذا المرض عند نزول الوحي عليه، بل يظل في تمام وعيه، وكامل قوته العقلية، قبل الوحي وأثناء تنزله وبعده، كما قال ﷺ.

ومن الثابت علمياً أن المصروع أثناء الصرع يتعطل تفكيره وإدراكه تعطلاً تاماً، فلا يدري ما يقوله في نوبته شيئاً عما يدور حوله، ولا ما يجيش في نفسه، كما أنه يغيب عن صوابه، ولكن النبي ﷺ كان بعد الوحي يتلو على الناس آيات بينات، وتشريعات محكمات، وكلاماً بلغ الغاية من الفصاحة والبلاغة والبيان ما تحدى به العرب وهم أهل ذلك.

لقد عاش النبي ﷺ طيلة حياته في صحة نفسية وعصبية وعقلية دائمة، لم يطرأ عليه أي خلل في عقله أو أعصابه في يوم من الأيام، بل

---

[1] الحديث أخرجه البخاري في صحيحه، ج١ ص ٤، ومسلم في صحيحه، ج٤ ص ١٨٦٦.

[2] الحديث أخرجه البخاري في صحيحه، ج١ ص ٢٧، ج٤ ص ١٧٩٣، وكذا أخرجه مسلم في صحيحه، ج١ ص ٣٧، ٣٩، ٤٠.

[3] هو دحية بن خليفة الكعبي، شهد مع رسول الله ﷺ المشاهد كلها ما عدا بدر، وكان من أجمل الناس، والحديث أخرجه الإمام أحمد في مسنده، ج٢ ص ١٠٧.

كان ﷺ – بشهادة القرآن والسنة والتاريخ – وديعاً صبوراً حليماً، فسيح الصدر حتى أ نه ﷺ وسع الناس جميعاً ببسطه وخلقه.

الخامس: أن الطب يقدم دليلاً لا ينقض، وحجة لا تحتاج إلى مناقشة على كذب فرية الصرع، ويؤكد أن ما كان يعتري رسول الله ﷺ إنما هو وحي من الله تعالى، ولا يمكن أن يكون شيئاً آخر، لقد ثبت أن نوبات الصرع ناتجة عن تغيرات فسيولوجية عضوية في المخ، ولقد أثبت الطب أن هناك مظاهر عديدة ومختلفة للنوبات الصرعية، ومنها يسمى بالنوبات الصرعية النفسية، وهو يشبه ما افترى به المستشرقون على الرسول ﷺ، وفي هذه الحال تمر بذهن المريض ما يسمى (بالهلاوس) وقد أثبت الطب أن الذكريات التي تمر بالمريض، لابد أن يكون قد عاشها بنفسه، وبتطبيق ما قرره الطب في حقائق الصرع على ما افتروا به على الرسول ﷺ نجده لم يردد إلا آيات محكمات لا يمكن أن يكون قد سمعها قبل ذلك، مما تحكي قصص الأولين، أو تصف أحوال اليوم الآخر، ولما كانت هذه الآيات لم تمر بالرسول ﷺ قطعاً قبل ذلك، فهي لم تختزن في المخ لتثيرها نوبات صرعية فيتذكرها [1].

السادس: أن ما زعمه هؤلاء الطاعنين وفيهم من ينتمي إلى بعض الأديان في أنهم لا ينالون من النبي محمد ﷺ وحده، وإنما ينالون من جميع

---

[1] راجع: السيرة النبوية، د. محمد أبو شهبة، ج١ ص ٢٧٩.

أنبياء الله ورسله الذين كانت لهم كتب أو صحف، أوحى بها من عند الله سبحانه وتعالى.

فهل تطيب نفوس هؤلاء أن يخربوا بيوتهم قبل أن يخربوا بيوت غيرهم؟ وما رأيهم فيما جاء في كتب العهد القديم والجديد، من إيحاءات ونبوءات؟ وهل يقولون في وحي نبي الله موسى وعيسى عليهما السلام ما يقولون في وحي خاتم الأنبياء نبينا محمد ﷺ؟ اللهم إنه الطعن الذي لا يصدر إلا من رجل مادي مخرف ومخرب ومدمر يريد هدم الأديان.

إن الرسول ﷺ ليس ببدع من الرسل في باب الوحي، إنه أوحى إليه كما أوحى إليهم، وصدق الحق تبارك وتعالى؛ حيث يقول: ﴿ **إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَءَاتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا** ﴾ [1].

والنتيجة التي نصل إليها مما سبق: أنه ليس هناك أدنى شبهة في إصابته ﷺ بالصرع، لأن كل من يعرف أعراض هذا المرض، وما له من آثار في شخصية المصاب، ويعرف سيرة النبي ﷺ يستطيع أن يقول: إن هذا لزعم باطل، وافتراء كاذب لا يستحق أن يأخذه المرء مأخذ الجد، بل إن المرضى الحقيقيين هم المغرضون الذين يريدون النيل من النبي ﷺ، وليس لهم مأرب إلا القدح في عصمته ﷺ بإثارة الشبهات، فلا النبي محمد ﷺ ولا

---

[1] النساء: (١٦٣).

أحد من الأنبياء قبل أصيب بمثل هذه الأمراض التي تتنافي مع العصمة الواجبة للأنبياء.

وإذا كان المستشرقون يتحيرون ويضطربون في تحديد مصدر الوحي، فإنهم بذلك يتحيرون ويتناقضون، ويطعنون في نبوة سيدنا رسول الله ﷺ.

فهرس المصادر والمراجع

١ – القرآن الكريم

٢ – الإتقان فى علوم القرآن عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى٩١١هـ) تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب طبعة (١٣٩٤هـ-١٩٧٤ م).

٣- الأحاديث الضعيفة والموضوعة التي حكم عليها الحافظ ابن كثير في تفسيره لأبى عبد الرحمن محمود بن محمد الملاح، مكتبة العلوم والحكم- المدينة المنورة، الطبعة الأولى(١٤٣١ هـ - ٢٠١٠ م).

٤- الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان لمحمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبدَ، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي (المتوفى ٣٥٤هـ) تحقيق: شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة- بيروت، الطبعة الأولى(١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨م).

٥- أحكام القرآن لأحمد بن علي أبو بكر الرازي الجصاص الحنفي (المتوفى ٣٧٠هـ) تحقيق: محمد صادق القمحاوي،دار إحياء التراث العربي- بيروت،طبعة(١٤٠٥ هـ).

٦-أحكام القرآن لعلي بن محمد بن علي، أبو الحسن الطبري، الملقب بعماد الدين، المعروف بالكيا الهراسي الشافعي (المتوفى ٥٠٤هـ)،

تحقيق: موسى محمد علي وعزة عبد عطية، دار الكتب العلمية- بيروت، الطبعة الثانية(١٤٠٥هـ).

٧- أسباب النزول لأبى الحسن على بن أحمد الواحدى النيسابورى المتوفى (٤٦٨هـ)، الطبعة الثانية (١٤١٢هـ-١٩٩٢م)، دار الأصلاح – الدمام.

٨-التحرير والتنوير محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى ١٣٩٣هـ)، الدار التونسية للنشر – تونس، طبعة(١٩٨٤ م).

٩-تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار) لمحمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن منده علي خليفة القلموني الحسيني (المتوفى: ١٣٥٤هـ). طبعة (١٩٩٠ م)، الهيئة المصرية العامة للكتاب.

١٠- تفسير القرآن العظيم، لأبى الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى٧٧٤هـ) تحقيق: سامي بن محمد سلامة ، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية (١٤٢٠هـ -١٩٩٩ م).

١١- تفسير القرآن العظيم لعبد الرحمن بن محمد بن أبي حاتم الرازي تحقيق: أسعد محمد الطيب، ط: مكتبة نزار الباز، مكة المكرمة، الرياض، الأولى(١٤١٧ هـ - ١٩٩٧م).

١٢- الناسخ والمنسوخ لأبى القاسم هبة الله بن سلامة بن نصر بن علي البغدادي المقري (المتوفى: ٤١٠هـ)، تحقيق: زهير الشاويش، ومحمد كنعان، المكتب الإسلامي – بيروت، الطبعة الأولى(١٤٠٤ هـ).
١٣- الناسخ والمنوسخ لأحمد بن محمد بن إسماعيل المرادي النحاس أبو جعفر، تحقيق د. محمد عبد السلام محمد، الطبعة الأولى (١٤٠٨هـ)، مكتبة الفلاح – الكويت.